الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
The People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
Ministry Of Higher EducationAnd Scientific Research
المركز الجامعي صالحي أحمد-النعامة -Salehi Ahmed University Center –Naama-
معهد الآداب واللّغات قسم اللّغة والأدب العربي

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر

بعنوان:

نزعة المقارنة في دراسات "طه حسين" للتراث الأدبي العربي - المنجز وتقييمه عند المقارنين العرب-

الميدان: لغة وأدب عربي الشعبة: دراسات أدبية التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر.

إعـــداد الطالبة: إشـــراف الأستاذ:
إبتسام بن ساعد. بشير دردار.

لجنة المناقشة والإشراف:

الاسم واللقب:	الرتبة	الصفة
د. علي ساعد	أستاذ مساعد	رئيسًا
أ. د. بشير دردار	أستاذ التعليم العالي	مشرفًا ومقررًا
د. أمينة بلهاشمي	أستاذ محاضر – أ-	مناقشًا

الموسم الجامعي: 1445 هـ- 1446هـ / 2024م-2025م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : إبتسام بن ساعد .....

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) .....

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 119941455010680003

الصادرة بتاريخ : 04 - 12 - 2016 .....

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب واللغات .....

قسم : اللغة والأدب العربي .....

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : نزعة المقارنة في دراسات "طه حسين" للتراث الأدبي العربي - المنجز وتقييمه عند المقارنين العرب .

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 2025 - 05 - 23 .....

توقيع المعني

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمْ

" إنّ كلّ شعب لا يملك تجارة ثقافية مع الشعوب

الأخرى، ليس إلّا حلقة مقطوعة من الشبكة الكبيرة".

"لا شيء يستطيع العيش معزولًا، العزلة الحقيقية تعني الموت

كلّ العالم يستعير من بعضه، هذا العمل الكبير

من التعاطف عام ودائم"

- فيلاريت شاسل -

" إنّني أفتح نوافذي للشمس والرّيح،ولكنّني

أتحدّى أيّة ريح أن تقتلعني من جذوري"

- المهاتما غاندي-

الإهداء:

إلـى العظيـمة

أمي

إلـى رجل حياتي

العظيم أبـي

إلـى إخوتي السند والعضد

إلـى إشراقة الشمس خاصّتي

إبراهيم و أويس

إلـى من قاسمتهم رحلة الطلب زملائي في الدّفعة

إلـى من يحلم بالحرية

إلـى من يحلم بوطن آمن

إلـى من يحلم بالسلام

إلـى من يحلم بغد جميل

إلى كلّ من يحمل المحبّة في قلبه

أهدي هذا العمل

إبتسام بن ساعد

شكروعرفان :

نشكر الله سبحانه وتعالى على عظيم نعمه، وجزيل عطاياه

وعلى عونه وتوفيقه لنا في إنجاز وإتمام هذا البحث، فله الحمد والمنة

ثمّ نتوجّه بالشكر الجزيل والتّقدير العميق لأستاذي الجليل الأستاذ" **بشير دردار**"

لتفضّله بالإشراف على هذه المذكّرة؛ ذاكرين له حلمه وعلمه وسعة صدره، وسديد توجيهاته التي أنارت لنا السبيل، فكان نعم المرشد ونِعم الدليل

دون أن أنسى فضل كلّ من الدكتورة "**سعاد بن ساعد**" والدكتور"**كمال زايدي**" على ما قدّماه لي من دعم ومساعدة طوال فترة البحث.

وأسجّل عميق شكري لأساتذتي الفضلاء بقسم اللغة والأدب العربي بالمركز الجامعي صالحي أحمد.

كما يسرّني أن أتقدّم بجزيل الشكر إلى السادة رئيس وأعضاء لجنة المناقشة على تكرّمهم بالموافقة على مناقشة هذه المذكّرة، سائلين المولى عزّ وجل التّوفيق لنا ولهم وللجميع.

إبتسام بن ساعد

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أبي القاسم محمد بن عبد الله، وعلى أهل بيته الطيّبين الطّاهرين، وصحبه المخلصين، وبعد:

يعدّ تاريخنا الأدبي والنقدي، تراثًا إنسانيًا خالدًا؛ مجَّدَه أسلافنا العرب القدامى واحتفى به مفكّرونا المحدثون، فنهجوا منهج أسلافهم، وساروا على منوالهم في الحفاظ عليه، والتعامل معه بعناية واهتمام ثمّ سَعوا نحو النهوض به في ظلّ احتكاكٍ حضاري؛ قرّبهم من الآخر، وأشعرهم بقوّته الفكرية، وذلك ما دفعهم إلى التساؤل عمّا يجب عليهم، وعمّا يمكنهم أن يأخذوه من ذلك الآخر لإحياء إرثهم الفكري والأدبي ومن هنا جاءت حتميّة اتّصالهم بحضارات الأمم الأخرى، فكان لا بدّ لهم من ذلك الاتّصال بعقد علاقات وتبادلات بين الشعوب في ثقافاتها وآدابها، فالفكر بطبيعته لا ينمو في الفراغ ولا يشتدّ عوده إلاّ حينما تُمنح له مساحة يكتشف فيها الآخر، وما يملكه من وعي، وخبرات، ومعارف؛ فهو دائم الحاجة إلى حيّز يقارن فيه كلّ ما اختلف، ويستدعي فيه كلّ ما غاب عنه، لتتّسع له الرؤية ويتّضح له المعنى.

ولأنّ أمّتنا العربية لم تعرف العزلة يومًا، بل تجاورت فيها القبائل، والتقت في أيّامها، وحروبها وغزواتها ومواسمها الدينية، وطقوسها الثقافية، فقد جاء نقدنا العربي القديم، غنيًا بالموازنات والمقارنات التي دلّت على احتكاك أدبنا العربي بآداب الأمم الأخرى والأخذ منها، كما بدوره أمدّها بشيء منه، ولم تتوقّف الدّراسات منذ ذلك الحين في الكشف عن الأدب العربي، ومحاولة فهمه، بل استمرّت مع كوكبة أخرى من الدّارسين المحدثين الذين سعوا إلى قراءة التراث الأدبي العربي قراءة حديثة؛ تقوم على البحث والاستقصاء، والمقارنة التي تتطلّب موقفًا معرفيًا محضًا يتوسّل الحوار بين النصوص الأدبية، وما تضمّنته من تبادلات خلال مسارها التاريخي، وعلى إثر ذلك قدّموا العديد من الدّراسات الحديثة، وسال حبر الكثير من الدّارسين والنقّاد العرب وفق أطر ومناهج جديدة، كالمنهج المقارن الذي بدا أداةً مغرية لاسكتشاف التراث العربي بوصفه فضاءً يمكن إعادة تأويله وفق منطلقات حديثة.

ويعدّ "طه حسين" من أبرز النقّاد الذين حاولوا استنطاق التراث العربي بمنظار هذا المنهج، متسلّحًا بثقافة مزدوجة، ورؤية حداثية، ونزعة عقلانية، ووعي نقدي، وذلك ما مكّنه من إحياء الأدب العربي ونقله من دائرة الماضي والتمسّك به وتقديسه، إلى دائرة الحوار معه وتمحيصه.

ومن هذا المنطلق سعى هذا البحث، وهذه الدّراسة التي قدّمناها في مذكرة لنيل شهادة الماستر والموسومة بـ: «**نزعة المقارنة في دراسات "طه حسين" للتراث الأدبي العربي – المنجزوتقييمه عند المقارنين العرب**»، إلى محاولة الكشف عن نزعة المقارنة في دراسات"طه حسين" للتراث الأدبي العربي.

وفي ظلّ هذا المنحى استوقفتنا الإشكاليات التالية:

كيف تجسّدت نزعة المقارنة في دراسات "طه حسين" الأدبية والنقدية؟ وما هو المنهج الذي طبّقه "طه حسين" حين تناول التراث الأدبي العربي بالدّراسة؟ وما هي جهوده؟، وفيما تمثّلت إسهاماته في حقل الدّراسات المقارنة العربية في مرحلة الأوّليات؟ وهل أدرجها مؤرّخو الأدب المقارن العربي ضمن الدّراسات التي سبقت الأدب المقارن، ومهّدت لظهوره الفعلي في الوطن العربي مع نهاية الأربعينيات؟ وكيف تمظهرت جهوده المقارنة في ميدان الدّراسات التراثية مقارنة بجيل النقّاد الذين عاصروه كـ"عباس محمود العقّاد"؟

وممّا لا شكّ فيه، أنّ الباحث بطبيعته وهو مقبل على أيّ بحث أو دراسة؛ سيتنازعه دافعان: أوّلهما ذاتيّ ينبع من داخله، والثاني موضوعيّ تضطرّه إليه الحاجة البحثية، وتدفعه نحوه مستجدّات البحث والدّراسة، ومن ثمّ فقد تمثّل الدافع الذاتي عندنا في شغفنا بهذا الحقل المعرفي؛ حقل الدّراسات المقارنة وذلك حين درسناه مقياسًا في السنة الثالثة ليسانس، على يدي الأستاذ الدكتور "بشير دردار" الذي أذهلنا بغزارة علمه، ووفور عقله، وسعة اطّلاعه، وأفقه الواسع، وثقافته الموسوعية، فاستطاع بذلك أن يقرّب إلينا محَاور هذا الحقل المعرفي، ويحبّبنا في البحث فيه، فجزاه الله عنّا، وعن تلك الفوائد والفرائد التي أمدّنا بها خير الجزاء.

أمّا الدّافع الموضوعي الّذي يرتكز أساسًا على أهميّة البحث في هذا الموضوع، فيعود ذلك لكون الفكر النقدي عند"طه حسين" ما يزال إلى حدّ الآن قيد الدّراسة والمساءلة، فكلّ ما قدّمه هذا المفكّر العربي العقلاني من دراسات أدبية، ونقدية أغنت المكتبة العربية، ونقلت الفكر والأدب العربي إلى موضع آخر؛ أكثر سعة ورحابة من الّذي كان فيه، من شأنه أن يدفع بأيّ باحث معاصر، في معاودة الكرّة ومحاولة التعمّق أكثر في تجربة "طه حسين" الفكرية التي فتحت أفقًا نقديًا ظلّ حاضرًا في الفكر العربي حتى يومنا هذا.

وممّا لا شكّ فيه، أنّه قد سَالت مَرَاعف العديد من الأقلام حول قراءة"طه حسين" للتراث الأدبي العربي قراءة تمحيصية مقارنة، فجاءت دراسات مستفيضة تناولت مقارناته الأدبية، ونقده المقارن للتراث بشيء من الشّرح والتّفصيل؛ كالدّراسة التي قدّمها "عزّ الدّين المناصرة"، في كتابه"علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)"، الذي صدر عام 2010م، وكذلك دراسة " عبد القادر بوزيدة "، المعنونة بـ:"طه حسين ومنهج الشّك الديكارتي، والمسألة الهوميرية(دراسة مقارنة)"، والتي صدرت عام 1994م ودراسة أخرى قدّمها الباحث "رشيد بلعيفة"، جاءت تحت عنوان"أصول المنهج النقدي عند طه حسين (نقد التراث الشعري أنموذجًا)"، وذلك عام 2015م.

وللإجابة عن الإشكاليّات التي طرحناها، اتّبعنا خطّة بحث جاءت مرتّبة على النّحو التالي:

المقدّمة: هي المدخل الرئيس، إذ شكّلت أرضية تأسيسية انطلقنا منها لعرض موضوعنا وتضمّنت أهمّ ما جاء به البحث من فصول ومباحث.

المدخل: وفيه تتبّعنا مفاهيم الأدب المقارن في الفكرين الغربي والعربي، والتحوّلات التي شهدها المصطلح من خلال اختلاف مدارس ورؤى الباحثين، كما تناولنا علاقة الأدب المقارن بتاريخ الأدب، كفرع

من فروعه، ثمّ نزعة المقارنة في الدّراسات التاريخية، وختمناه بعنصر تناول أدوات المقارنة، وعدّة الباحث المقارن والشروط التي لا بدّ أن تتوفّر فيه.

وبعد المدخل جاء بحثنا مقسّما على فصلين، فصل أوّل نظري، وسمناه ب:« **الأدب المقارن وتجلّياته في الدّراسات الأدبية عند العرب**»، افتتحناه بتمهيد تناولنا الحديث فيه حول الطموح الفكري العربي وسعيه لنهضة فكرية عربية مماثلة لنهضة الغرب، وماقدّموه من دراسات عبّرت عن فكرهم النهضوي التنويري، وقسّمنا هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: عنونّاه ب: «**أوليّات الدراسات المقارنة عند الغرب وعند العرب**»، فرحنا نتتبّع أثر المقارنة في فكرهم، وذلك من خلال بعض المحاولات البسيطة التي أثبتت حسّهم المقارن، ثمّ تتبّعنا في عنصر ثانٍ أوّليات المقارنة عند العرب، من خلال ما حمله النقد العربي القديم من موازنات ومقارنات.

أمّا **المبحث الثاني**: فخصّصناه للحديث عن «**فكرة المقارنة في الدّراسات العربية الحديثة**»، وأهمّ الأسماء والمجلّات، التي استعملت مصطلح الأدب المقارن لأوّل مرّة في الفكر العربي. وختمنا الفصل الأوّل بمبحث ثالث وأخير، جاء بعنوان :«**منهج طه حسين في دراسة التراث الأدبي العربي**»، وتناولنا فيه ثلاثة عناصر فتحدّثنا أوّلا عن أثر الثقافة العربية والغربية في فكر "طه حسين"، أمّا العنصر الثاني فخصّصناه للحديث عن منهجه النقدي، وعن ثورته على المناهج القديمة، وجاء تحت عنوان:"طه حسين وتجديد منهج البحث" والعنصر الثالث، فجاء حول"أطروحة "طه حسين" في قراءته للتراث الأدبي العربي"، ثمّ أنهينا الفصل الأوّل بخلاصة أدرجنا فيها أهمّ النقاط التي توصّلنا إليها.

أمّا **الفصل الثاني** من بحثنا فقد جاء موسومًا بـ :« **الدّراسة الأدبية المقارنة عند "طه حسين" وتقييمها في كتب مؤرّخي الأدب المقارن العربي**»، وقد ضمّ كذلك هذا الفصل ثلاثة مباحث، أمّا المبحث الأوّل فجاء بعنوان: «**نزعة المقارنة وتجلّياتها عند طه حسين**»، وقد ضمّ هو الآخر ثلاثة عناصر، تناولنا

فيه بداية المقارنة الأدبية، وتجلّياتها عند "طه حسين"،فرحنا نتقصّى أثر تلك المقارنة في دراساته الأدبية والنقدية، ثمّ في عنصر آخر تناولنا أثره في الترجمة كونها رافدًا من روافد الأدب المقارن، فحاولنا الوقوف على أهمّ ما جاء به من نقل، وترجمات ومشاريع في هذا الباب، وما قدّمه للفكر العربي، من أعمال تنويرية نهضوية، وعنصر ثالث وأخير في هذا المبحث، تطرّقنا من خلاله إلى الحديث عن "المنهج التاريخي المقارن عند "طه حسين"، وكيف طبّقه على دراساته الأدبية التراثية،مبيّنين أثر ذلك المنهج المقارن في الدّراسات العربية الحديثة، أمّا المبحث الثاني والذي جاء بعنوان:« مقارنات "طه حسين" الأدبية في كتب مؤرّخي الأدب المقارن العربي»، وقد استدعتنا خلاله الضرورة البحثية، للقيام بعملية مسح لبعض كتب المقارنين العرب؛ بحثًا عن مقارنات "طه حسين"، وعن ما قدّمه من جهود وإسهامات في حقل الدّراسات المقارنة العربية، خلال المرحلة التي سبقت ظهوره الفعلي في الوطن العربي، فتتبّعنا بعض كتب المقارنين العرب المؤسّسين في عنصر عنونّاه بـ:"مقارنات طه حسين الأدبية في كتب المقارنين العرب المتقدّمين" وعنصر ثانٍ جاء بعنوان: " مقارنات طه حسين الأدبية في كتب المقارنين العرب المتأخّرين"، وخلال عملية المسح تلك، قمنا بالتّركيز على دراسات "طه حسين" المقارنة، ورحنا نتتبّع تراوحها بين الحضور والغياب وبين الاحتفاء والاقصاء، وكيف قيّمها المقارنون العرب في كتبهم ومصنّفاتهم، وفي المبحث الأخير من هذا الفصل، فقد عُنينا بعقد مقاربة بين جهود"طه حسين" و"عباس محمود العقاد"، عنونّاه بـ:« **مقاربة بين جهدي "طه حسين"و "عباس محمود العقاد" في حقل الدّرس الأدبي المقارن(دراسة تحليلية)**» وإدراجنا لهذه المقاربة بين الناقدين كان أمرًا لا بدّ منه، فإذا كانَ الشيء يُفهَم بنقيضه، فهو كذلك يُفهم حين مقارنته بمثيله، ومن ثمّ حاولنا التّركيز على العناصر التالية: دراسة مصطلح الأدب المقارن وتداوله عند "طه حسين"، و"عباس محمود العقاد" بالإضافة إلى تتبّع أثر كلّ منهما في ميدان الدّراسات المقارنة، وذلك بالبحث والتّحليل في دراستهما والكشف عن نزعة المقارنة في تناولهما للدّراسات التراثية، وأيّهما كان أقرب من حقل الأدب المقارن. وأنهينا بحثنا هذا **بخاتمة**، اختتمنا بها الدراسة باستخلاص نتائج جوهرية تعكس تفاعل المباحث مع الإشكاليات وتبلور رؤيتنا للموضوع.

واقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد، والمزاوجة بين المنهجين الوصفي والتاريخي، وذلك حين تطرّقنا لدراسات "طه حسين" بالوصف والتّحليل، وكذا تتبّعنا لنزعة المقارنة، من خلال مجموعة من المصنّفات المقارنة التاريخية على مرّ أزمنة مختلفة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

أمّا عن أهمّ المراجع الّتي أعانتنا على الدّراسة، والّتي اعتمدنا عليها خلال بحثنا، فنذكر منها ما يلي:

سعيد علوش، "مكوّنات الأدب المقارن"، عز الدين المناصرة "النقد الثقافي المقارن"، عزّ الدين المناصرة " علم التناص والتلاص (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)"، حسام الخطيب "آفاق الأدب المقارن"، عبد السلام الشاذلي "الأسس النظرية في مناهج البحث الأدبي الحديث"، جابر عصفور" المرايا المتجاورة (دراسة في نقد طه حسين)،إبراهيم الأبياري وآخرون "طه حسين كما يعرفه كتّاب عصره".

وقد سعينا بكلّ ما أوتينا من قوّة وعزم، في إخراج هذا البحث بصورة مقبولة، فلم ندّخر جهدًا ماديًا ولا معنويًا، إلّا وقد وظّفناه، وعلى الرّغم من ذلك اعترضت سبلنا بعض الصعوبات خاصّة ما تعلّق بعامل الوقت وقصره، ما دفعنا إلى الاستعجال فيما بدأناه، ولذلك يمكن القول أنّ العجلة لا تصنع أدبًا، ولا تنتج نقدًا.

ولا يزال البحث في نقد"طه حسين"، ودراسته المقارنة في ميدان الدّراسات التراثية، موضع بحث ومساءلة، على الرّغم من الدّراسات المستفيضة التي قُدّمت حوله، إلّا أنّه مازال بحاجة إلى دراسات أخرى حديثة واعدة، تكشف عمقه، وتزيل الإبهام والغموض عنه.

وفي ختام ذلك، لا يسعنا إلاّ أن نتقدّم بخالص الشكر والعرفان لمشرفنا الفاضل، الأستاذ الدكتور "بشير دردار" الّذي كان لنا عونًا، وسندًا في إنجاز هذا البحث وإتمامه.

الطالبة: إبتسام بن ساعد. تمّت يوم: 18 ماي 2025م، الموافق لـ ٢٠ ذو القعدة ١٤٤٦ هـ

المركز الجامعي صالحي أحمد -النعامة-

المـــدخـــــل:

مـقـدّمـــات نـــظـــريـة.

تمهيد:

أسهمت التطوّرات العلمية التي عاشها العالم في ميلاد علوم، وازدهار واستقلالية علوم أخرى، وكان الأدب المقارن ضمن لائحة العلوم الحديثة التي رسمت ديناميكيّة أمدّت أوروبا والعالم بمناظير جديدة لدراسة الأدب، وغيّرت مجرى التاريخ الثقافي، وقد ظهر الأدب المقارن بفرنسا في القرن التّاسع عشر، ثم اتّسعت دوائر الاهتمام به، في دول أوروبية وأمريكية، وحتى عربية في زمن متأخّر، وقد تأثر الأدب المقارن في تطوّره بظهور المدارس الأدبية والنقدية التي اختلفت توجّهاتها في مقاربة قضايا الأدب.

أوّلا- مفهوم الأدب المقارن عند الغرب والعرب:

إنّ تنوّع الموضوعات وتداخلها الّتي يبحث فيها الأدب المقارن في علاقاته الأدبية المتشعّبة، هو ما أوجد نوعا من التضارب في الآراء، وضبابية حول تحديد مفهومه، إذ اختلفت مفاهيمه باختلاف توجّهات دارسيه.

وعليه سنحاول التطرّق لمجموعة من مفاهيم الأدب المقارن التي أوردها المهتمون بالدّرس الأدبي المقارن في البيئتين الغربية، والعربية.

1) مفهوم الأدب المقارن عند الغرب:

افتتحنا بالمفاهيم الغربية للأدب المقارن، وذلك بوصفهم الروّاد في تأسيس هذا الحقل المعرفي الجديد، وواضعو قواعده وأسسه.

وتجدر الإشارة أوّلا إلى أوّل مرّة في التاريخ استعمل فيها اسم "الأدب المقارن"، وقد كان ذلك « في فرنسا، حين أخذ "فيلمان- Fielmann " عام 1827م، يستعمله في محاضراته الرائعة في السوربون، ثمّ

أخذ ذلك الاسم في الانتشار، فأطلِق على منابر عديدة عام 1830م، كما سمّيت به كتب عديدة ابتداءً من عام 1840م ومن فرط ذيوعه وسعة انتشاره أصبح من المستحيل أن ننتزع منه هذا الاسم»[1].

وفيما يلي نستعرض أبرز الأعلام الغربيين الّذين كان لهم دور ريادي في ترسيخ مصطلح " الأدب المقارن" ، من خلال التّرويج له، واعتماده في التّدريس والبحث، ومفهومه لدى كلّ واحد منهم:

1. عند "بول فان تيغم- Paul Van Tieghem" :

المقارنة حسب"بول فان تيغم-**Paul Van Tieghem** "، تعني «التّقريب بين وقائع مختلفة، ومتباعدة في غالب الأحيان، وذلك رجاء استخلاص القوانين العامّة التي تسيطر عليها»[2].

وعليه فالمقارنة بوجهها العام عند"تيغم- **Tieghem** "، تستدعي تلاقي الأحداث والأحوال المتباعدة ومقارنتها لفهم القوانين التي تحكمها، أمّا المقارنة التي تتّصل بالآثار الأدبية فيراها «ككلّ علم تاريخي يشمل أكبر عدد ممكن من الوقائع المختلفة الأصل... وعليه ينبغي أن نفرغ كلمة مقارنة من أيّ دلالة فنيّة ونصب فيها معنى علمي أمّا تقرير المتشابهات والاختلافات بين كتابين أو مشهدين أو موضوعين أو صفحتين من لغتين أو أكثر، إنّما هو نقطة البدء الضرورية التي لا تتيح لنا اكتشاف تأثّر أو اقتباس أو غير ذلك، ممّا يتيح لنا أن نفسّر أثرا بأثر "تفسيرا جزئيًّا"»[3].

ويعقّب "سعيد علوش" على ما ذهب إليه "تيغم- **Tieghem** " في مفهومه المتقدّم للمقارنة، وفي عدم فهم مقصوديّة المقارنة من قبل القارئ، والدّارس، فيشير علوش إلى ذلك بقوله: « أنّ مفهومه للمقارنة مفهوم متقدّم جدا، لأنّه لا يتوقّف عند حدود تقرير القواعد وتأصيل الدّرس المقارن فحسب، بل ينتبه إلى المزالق والمخاطر التي تعلق بذهب القارئ العادي المقارن المختصّ على السّواء في فهم المقصود بالمقارنة...

[1] فان تيغم، الأدب المقارن، دائرة المعارف الأدبية العالمية، مصر، دت، دط، ص18.

[2] المرجع نفسه، ص19.

[3] المرجع نفسه، ص 19- 20.

التي من الممكن أن تفرغ التّسمية من محتواها والابقاء بها عند مجرّد تلبية رغبة فنيّة أو إصدار حكم تفضيلي»[1].

فحسب "تيغم" المقارنة تتطلّب معرفة مسبقة ضمنيا، واستعدادًا موسوعيًا للملاحظة والقراءة والتّفسير، والتّأويل وليس مجرّد امتثال لرغبة فنيّة أو الاستعجال بإصدار حكم تفضيلي.

2. عند " فرنسوا ماريوس غويار- Maurice Francois Guyard" :

يرى"غويار- **Guyard**" أنّ الأدب المقارن «هو تاريخ العلاقات الأدبية الدولية، فالباحث المقارن يتوقّف عند الحدود اللّغوية أو الوطنيّة، ويراقب تبادل المواضيع والأفكار، والكتب، والمشاعر بين أدبين أو أكثر»[2].

وعليه فغويار يشير إلى الجذر التاريخي والعلاقات التي تثبت وجود عامل التأثير والتأثّر بين ظاهرتين أدبيتين، وهذا أحد الأسس التي تقوم عليها المدرسة الفرنسية، وغويار أحد أعلام تلك المدرسة.

3. عند "كلود بيشوا- Claude Pichois":

يركّز "كلود بيشوا- **Claude Pichois** " في مفهومه للأدب المقارن على تداخل الاختصاصات، ويلحّ على الوظيفة التّركيبية فالأدب المقارن عنده هو«وصف وتحليل ومقارنة منهجية فاصلة، وتفسير تركيبي للظّواهر الأدبية بين اللّغات، أو بين الثقافات، بالتاريخ والنّقد والفلسفة، بغرض فهم أفضل للأدب كوظيفة نوعية للروح الإنسانية»[3]، فبيشوا بمفهومه للأدب المقارن قد جمع بين آراء الأجيال وطموحاتهم في دراسة الأدب المقارن حيث أنّه «وافق بين رغبة قديمة عند الجيل الأوّل في البحث عن التّشابهات، والتّعبير عن

[1] سعيد علوش، مكوّنات الأدب المقارن (في العالم العربي)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1987م، ط1، ص28.
[2] ماريوس فرانسوا غويار، الأدب المقارن، تر: هنري زغيب، منشورات عويدات ، بيروت، لبنان، 1988م، ط2، ص15.
[3] كلود بيشوا، أندريه م،روسو، الأدب المقارن، تر: أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2001م ط3، ص259

منجزات الجيل الثاني الذي ركّز على القرابة والتّأثير والطموح نحو ضمّ ميادين التّعبير، والمعرفة عند الجيل الثالث عامّة والمدرسة الأمريكية خاصّة، وبهذا التّعريف يكون "كلود بيشوا- **Claude Pichois** " قد قلّص الهوة الفاصلة بين المدرستين الفرنسية والأمريكية»[1].

وعليه لا بدّ من الإشارة إلى أنّ مفاهيم الأدب المقارن قد تغيّرت بحسب تغيّر الرّؤى والقناعات فمؤرّخوا الأدب المقارن الفرنسيّين، وباعتبارهم روّاد هذا الحقل المعرفي، حدّدوا له مفاهيم خاصّة تعكس رُؤاهم، وتخدم قناعاتهم، وبذلك يكون الاتّجاه الفرنسي أو المدرسة الفرنسية قد ضيّقت مجال الأدب المقارن، حيث « اتُّهِم "فان تيغم" والمجموعة الفرنسية بتقييد مجال الأدب المقارن، وتشجيع اتّجاه عليه غمامة لا يفضي سوى لحارات مسدودة»[2]، فما سعت إليه المدرسة الفرنسية من خلال طرحها هو« جعل المقارنة ودرسها علما فرنسيا، لينير صدى كتابها، ونجاح مؤلّفاتهم خارج حدودها الإقليمية، أو في دائرة نفوذها الفرانكفوني التاريخي»[3]، ولعلّ هذه النظرة المتحيّزة هي ما دفعت بجيل آخر جديد لطرح مغاير ومختلف يدعو إلى رؤية صائبة تخرج الأدب المقارن من قوقعته وعزلته.

4. عند "رينييه ويليك- Rene Wellek":

أمّا عند الناقد الأمريكي"رينييه ويليك"، فبعد عرضه وتطرّقه لمجموعة من مفاهيم الأدب المقارن التي حاول الدّارسون الغربيون من خلالها إعطاء مفهوم شامل له، فتوصّل في النهاية إلى أنّ أنسب تعريف للأدب المقارن هو« ذلك المستمد من منظور الأدب المقارن وروحه، وليس من فصل مصطنع له داخل عالم الأدب فهو يدرس الأدب كلّه من منظور عالمي، ومن خلال الوعي بوحدة كلّ التجارب الأدبية والعمليّات الخلّاقة

[1] سعيد علوش، مكوّنات الأدب المقارن (في العالم العربي)،ص 31- 32.

[2] سوزان باسنيت، الأدب المقارن(مقدّمة نقدية)، تر: أميرة حسن نويرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1999م، دط، ص36.

[3] سعيد علوش، المرجع السّابق، ص25.

وبذلك، يكون الأدب المقارن وهذا ما أؤمن به أنا هو الدّراسة الأدبية المستقلّة عن الحدود اللّغوية والعنصرية والسياسية»[1].

وعليه فـ"ويليك-**Wellek** " يرى بأنّ الأدب المقارن هو الدّراسة الأدبية الحرّة التي لا تقيّدها الحدود اللّغوية والعنصرية، والسياسية، والتي تستعين بمنظور عالمي يؤمن بوحدة التجارب الأدبية الخلّاقة، وهو بذلك يعيب منهج المدرسة الفرنسية وطروحاتها في دراسة الأدب المقارن.

5. **عند" هنري ريماك- Henry Remak":**

يرى الناقد الأمريكي "ريماك- **Remak** "، أنّ الأدب المقارن، هو« دراسة الأدب بحيث تتعدّى حدود القطر الواحد، ودراسة العلاقات القائمة بين الأدب، وبين مجالي المعرفة والمعتقدات الأخرى، كالفنون والفلسفة والتاريخ، والعلوم الاجتماعية، والعلوم البحتة والأديان»[2]،ويصف "ويليك" محاولة ريماك في ضبطه لمفهوم الأدب المقارن بالمحاولة « الحديثة لتوسيع مدلول الأدب المقارن، فهي أقلّ تعسّفا، وأوسع طموحا»[3].

ومفهوم ريماك يحمل نوعا من الشمولية في دلالته، حيث نجده قد اقترح مقارنة الأدب بغيره من مجالات التّعبير الإنساني، وهو أوسع مجالا في طرحه ممّن سبقوه، لأنّه وسّع دائرة البحث المقارن على نحو غير مسبوق.

[1] رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، تر: محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، 1987م، دط، ص 161.
[2] المرجع نفسه، ص261.
[3] المرجع نفسه، ص ن.

6. **عند "روني إيتيامبل- René Étiemble" :**

أمّا "روني إيتيامبل- **René Étiemble** " فقد جاء برؤية مخالفة لمن سبقوه وعاصروه؛ في مفهومه للأدب المقارن، أو أزمة الأدب المقارن «وقد جسّدت رؤية إيتيامبل في مقالته المركزية بعنوان" أزمة الأدب المقارن" هذه الرؤية بوضوح، والمتأمّل لهذه المقالة سيلاحظ مقدار النقد الذي يوجّهه لمناهج الأدب المقارن في فرنسا في خضوعها للمنهج التاريخي، والفلسفة الوضعية، والقارئ لرؤية "إيتيامبل" سيرى توجّه الأدب المقارن نحو الشِعر المقارن من خلال الجمع بين البحث التاريخي، والتأمّل النقدي أو الجمالي»[1]، فحسب رأيه أنّ دراسة الأدب المقارن لا بدّ أن تؤدّي إلى شعرية مقارنة، وهو ما يؤدّي إلى توضيح عمق العمل الأدبي وجوهره.

2) مفهوم الأدب المقارن عند العرب:

بعد أن استعرضنا مجموعة من مفاهيم الأدب المقارن في الفكر الغربي، سنحاول أن نقف كذلك عند مجموعة من مفاهيمه عند مؤسّسي ومؤرّخي الدّرس المقارن في العالم العربي، والبداية ستكون مع المؤسّس الفعلي للأدب المقارن في البيئة العربية.

1. عند "محمد غنيمي هلال":

يحمل مفهوم الأدب المقارن عند"غنيمي هلال"، مدلولًا تاريخيا، ذلك « أنّه يدرس مواطن التّلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة، وصلاتها الكثيرة المعقدّة في حاضرها أو في ماضيها، وما لهذه الصّلات التاريخية من تأثير وتأثّر»[2]، والملاحظ من هذا التّعريف أنّ "غنيمي هلال" يركّز على دراسة الآداب من خلال حقبها

[1] يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، منشورات جامعة القدس، المفتوحة، عمان، الأردن، 1996م، ط1، ص 14.
[2] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطّباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2008م، ط9، ص 13.

التاريخية، وصلاتها التي أوجدت عامل التأثير والتأثّر بينها، كما ينبّه إلى ضرورة اختلاف اللّغة أثناء عملية المقارنة، وطرحه هذا يدلّ على تأثّره بالمدرسة الفرنسية التاريخية.

2. عند "طه ندا":

يعرّف الأدب المقارن على أنّه « إيجاز دراسة الأدب القومي في علاقته التاريخية بغيره من الآداب، وكيف اتّصل هذا الأدب بذاك الأدب، وكيف أثّر كلّ منهما في الآخر»[1]، فطه ندا هو الآخر يرى في مفهومه للأدب المقارن ضرورة تتّبع مجرى العلاقات التاريخية للآداب، وأثر كلّ منها في الآخر.

3. عند "بديع جمعة":

يرى "بديع جمعة"،«أنّه من الأفضل التّسليم والأخذ بمنطق المدرسة الفرنسية في تحديد مفهوم الأدب المقارن، وحصره على المجال الضيّق، مجال الآداب المختلفة دون ربط هذه الآداب بالفنون المختلفة وسائر العلوم»[2]، فبديع جمعة، يأخذ بأطروحة المدرسة الفرنسية في تحديدها لمفهوم الأدب المقارن، ويرى أنّه من الصّعب على أيّ دارس أن يلمّ بكلّ تلك المعارف في عقد مقارناته، وذلك يعود لسعة ورحابة طموح الأدب المقارن في دراسته للإنتاج الأدبي في لغات مختلفة، ومقارنتها، بعلوم وفنون أخرى.

4. عند"ريمون طحان":

عرّفه"ريمون طحان" على أنّه، تلك الدّراسات التي « تهتمّ بالعلاقات التي تقوم بين أدب وطني معيّن كتب بلغة قومية معيّنة، وبين أدب أو آداب غربية عن تلك اللّغة القومية، وتهتمّ أيضا بالصّلات التي تقوم

[1] طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1991م، دط، ص20.

[2] بديع جمعة، دراسات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1980م، ط2، ص 14- 15.

بين أدباء، كتّاب، وشعراء، يتشابهون في إنتاجهم الأدبي ويتباينون في اللّغة والحضارة، والانتماء العرقي والقومي الذي تفصله الحدود الجغرافية والسّياسية»[1].

وعليه يمكن القول إنّ مفهوم "ريمون طحان" هو الآخر يتّبع طرح المدرسة الفرنسية، والمنهج التاريخي الفرنسي في دراسته للآداب.

5. عند "الطاهر أحمد مكّي":

يشير "الطاهر أحمد مكّي"، إلى مجموع المفاهيم الفرنسية للأدب المقارن محاولًا جمعها في صيغة واحدة، تجمع بينها كلّها، فيقول: « الأدب المقارن هو دراسة العلاقات بين أدبين قوميين أو أكثر»[2]، ولعلّ ما نلاحظه في المفاهيم العربية للأدب المقارن هو تأثّر المؤرّخين العرب بأحد المنهجين الفرنسي، أو الأمريكي في دراستهما للآداب.

6. عند" سعيد علوش":

عرّف "سعيد علوش" الأدب المقارن بأنّه: «دراسة أيّة ظاهرة أدبية من وجهة نظر أكثر من أدب واحد، أو متّصلة بعلم آخر، أو أكثر»[3].

وعليه فإشكالية مصطلح الأدب المقارن، ومحاولة تحديد مفهومه، لم تقتصر على الفكر الغربي فحسب، بل تجاوزتها إلى الفكر العربي كذلك.

ومن خلال ما عرضناه من مفاهيم غربية، وأخرى عربية لمصطلح الأدب المقارن، يتبيّن لنا أنّ إشكالية هذا المصطلح ومحاولة تحديد مفهومه، لم تقتصر على الفكر الغربي الذي حاول أن يساير

[1] ريمون طحان، الأدب المقارن والأدب العام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1972م، ط1، ص8.
[2] الطاهر أحمد مكّي، الأدب المقارن(أصوله وتطوّره ومناهجه)، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1987م، ط1، ص197.
[3] سعيد علوش، مكوّنات الأدب المقارن في العالم العربي، ص33.

الزمن، والتاريخ، وطموح الأجيال في وضعه لمفهوم واحد يتّفق عليه الجميع، بل تجاوزتها إلى الفكر العربي الذي بقي يتخبّط هو الآخر بين ترجمة المفهوم الغربي والتطلّع لمفهوم جديد يستوعب الفكر العربي ويتماشى مع الثّقافة العربية.

ثانيا- علاقة الأدب المقارن بتاريخ الأدب:

إنّ الحديث عن الأدب المقارن بعدّه علمًا حديث النّشأة، أسهمت في ظهوره واستقلاليّته التطوّرات العلمية، والتكنولوجية التي شهدها العالم؛ يدفعنا مباشرة إلى النّظر في علاقة المجاورة التي جمعته بتاريخ الأدب، فمع هبوب رياح الثورة العلمية، بدأ اسم الأدب المقارن في الظّهور، حيث «دخلت هذه التّسمية إلى تاريخ الأدب في نفس الوقت الذي دخلت فيه إلى الفيلولوجيا، والتّشريح الفيزيولوجيا، وتحت تأثير نفس الاعتبارات»[1]، ولمعرفة طبيعة تلك العلاقة، لابدّ من العودة إلى الميادين التي يبحث فيها كلّ من تاريخ الأدب والأدب المقارن.

فببحثنا عن مفهوم تاريخ الأدب وجدناه « لونًا من ألوان الأدب الوصفي الذي لا ينشأ، إلاّ بعد نمو الأدب الإنشائي، وبعد نضج ملكة النّقد، ينشأ عن حاجته إلى العلم بإنتاج القدماء والمحدثين من إنتاج أدبي، وعن تأثّره بالبيئة والإقليم والفروق ، وتأثيره فيها، ويركّز على تقليد المحدثين للقدماء وخروجهم عليهم وكذا تأثيرهم فيهم، وإلى الفروق التي تميّز الشعراء والكتّاب عن بعضهم البعض، والصّلات التي تقرّب بينهم»[2]. فمن خلال هذا المفهوم يمكننا أن نحدّد الميادين التي يبحث فيها تاريخ الأدب، فهو إذن يركّز على الإنتاج الأدبي وبيئة ذلك الإنتاج، والعوامل التي أثّرت فيه وأثّر فيها، بالإضافة إلى بحثه في العلاقات التي

[1] فان تيغم، الأدب المقارن، ص 19.

[2] طه حسين وآخرون، التّوجيه الأدبي، دار الأميرية، القاهرة، مصر، 1952م، دط، ص 6.

جمعت بين ما أنتجه القدماء والمحدثون، مع مراعاة الفروق التي ميّزت بينهم، والتّشابهات التي قرّبت إنتاجاتهم الأدبية من بعضها البعض.

أمّا عن الأدب المقارن، فيرى "بول فان تيغم Van Tieghem" أنّه «فرع من التّاريخ الأدبي »[1]، وعليه فالأدب المقارن كان جزءًا من التاريخ الأدبي، ثمّ استقلّ عنه لاحقا تزامنا مع ظهور النزعات القومية. أمّا فرونسوا غويار- Francois Guyard،فنجده يصف «الباحث المقارن بمؤرّخ الآداب»[2]، وذلك الوصف الذي أطلقه غويار على الباحث المقارن يتماشى مع الثقافة الموسوعيّة، التي يتمتّع بها الدّارس المقارن في إلمامه بجميع الآداب في حقبها التاريخية المختلفة، وصلاتها بعضها ببعض، إلاّ أنّ ظهور الأدب المقارن كعلم مستقلّ بذاته لم يكن سهلًا فقد مرّ « بولادة عسيرة بين تضارب في المفاهيم، وردود فعل حول اعتباره فرعا من فروع التاريخ الأدبي وعدم القبول باستقلاليته باعتبار أنّه تجميع اصطناعي لمسائل ونتائج يجب أن يكون كلّ منها مكمّلا لدراسة الأدب الخاص»[3]، وحول ذلك يذهب "فان تيغم- Van Tieghem " إلى الإشارة لأحد العوامل المهمّة التي عجّلت باستقلاليّة الأدب المقارن؛ وهو رحابة مجال التاريخ الأدبي، فذلك « التوسّع في مجال التاريخ الأدبي، هو ما أدّى إلى البحث عن تنويع تفرّعات الدّرس التاريخي، وتوزّعه بين عديد من المختصّين وذلك لقصور الباحث في إلمامه بلغات الآداب وتطوّرها، فجاء الأدب المقارن تلبية لحاجيات تقاسم المهام والحقول»[4]، وبذلك أصبح الأدب المقارن حقلا مجاورا لعلم التاريخ الأدبي، بعدما كان فرعا من فروعه

[1]فان تيغم، الأدب المقارن، ص 23.

[2]ماريوس فرانسوا غويار، الأدب المقارن، ص15.

[3]سعيد علوش، مكوّنات الأدب المقارن في العالم العربي، ص46.

[4] فان تيغم، المرجع السابق، ص 50- 51.

كحتمية استدعتها الظروف الفكرية لتخفيف العبء عن الدّرس الأدبي التاريخي، وكذا الباحث الأدبي ويذهب « أمبير إلى أنّ تاريخ الأدب لا يكتمل بدون دراسات الأدب المقارن»[1].

إذن، فتاريخ الأدب والأدب المقارن حقلّان متدَاخلَان يصعب الفصل بينهما فكلاهما يركّز على الأرخنة، والجمع والإحصاء، والكشف عن جوانب الصّلات والعلاقات الأدبية والإنتاج الإنساني.

ثالثا- نزعة المقارنة في الدّراسات التاريخية:

تجلّت ظاهرة المقارنة بصورة أوّلية في الدّراسات التاريخية أوّلا، حيث نزعت تلك الدّراسات إلى التّأريخ القائم على فعل المقارنة، وقد حملت أعمال كلّ من «جوزيف هامر برجستال، وألفريد فون كريمر، وإدوارد فان دايك، وبروكلمان، حسّ المقارنة المبكّرة»[2]، فأعمال هؤلاء المؤرّخين عكست ارتباط دراساتهم التاريخية بنزعة المقارنة وتقييدها بها. وكذلك قامت أبحاث مؤرّخي الأدب العربي، التاريخية على المقارنة، خصوصا الأوائل منهم « كحنفي ناصف، وحسن توفيق العدل، والسباعي بيومي، وأحمد الإسكندري، وجورجي زيدان وغيرهم، فوقفة واحدة واردة عند بيبلوغرافيا مؤلّف هذا الأخير، تكفي للتّأكّد من تأصّل النظرة المقارنة»[3] وما قدّمه هؤلاء المؤرّخون في دراساتهم يعتبر باكورة الاهتمام بالنزعة المقارنة في الدّراسات التاريخية التي تقوم على الجمع والاحصاء والتأريخ، إلى أن جاءت الدّراسة الفعلية التي أرّخت لانطلاقة الأدب المقارن العربي، وهي الدّراسة التي قدّمها «روحي الخالدي ومن خلالها تعزّزت نظرة المقارنة في العالم العربي، فدراسته حول (تاريخ علم الأدب عند العرب والإفرنج 1904م)، مثّلت اللبنة الأساسية والانطلاقة الفعلية للأدب المقارن»[4]، أمّا عند الغرب فنزعتهم للمقارنة جاءت بعد رؤية دقيقة متفحّصة للدّراسات التاريخية التي أصبح

[1] محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب المقارن، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، مصر، ج1، دت، ط1،ص 10.

[2] سعيد علوش، مكوّنات الأدب المقارن، ص 44.

[3] المرجع نفسه، ص ن.

[4] المرجع نفسه ، ص ن.

مجالها واسعا، ممّا صعّب عملية التّأريخ أمام دارس ومؤرّخ الآداب، فقد «اتّضحت معالم المقاربات التاريخية الأدبية من خلال ذلك التراكم الكمّي والكيفي اللّذان أضيفا إلى الدّرس المقارن، وكذالك بفضل التحوّلات التي شهدتها الحياة العقلية والمادية في الحقل الثقافي الأوروبي»[1].

وقد اتّبع دارسو ومؤرّخو الآداب الغربيون في دراستهم للأعمال الأدبية في نسقها التاريخي طريقتين مكّنتهم من سهولة جمع الأعمال الأدبية وإحصائها. أمّا الطريقة الأولى فقد اتّبعها، بيسيو بالدينجر، حين عالج التاريخ الأدبي ضمن مجموعة(التاريخ العام للّشعوب) في القرنين السابع عشر والثامن عشر، فنظر إلى الآداب الكبرى على أنّها المراكز الكبرى للأدب الأوروبي. وأما الطريقة الثانية فاتّبعها فان تيغم في كتابه (موجز التاريخ الأدبي لأوروبا منذ عصر النهضة إلى غاية العصر الحديث). وقد كشفت دراسته عن وعيه بضرورة الجمع بين التاريخي والمقارن في أيّة مقارنة[2]. وعليه فالدّراسات التاريخية كانت تقوم على المقارنة أساسا، وذلك لحاجة الأدب وتوثيقه للمقارنة، والمقاربة، وخلال ذلك سعى مؤرّخو الآداب إلى تقديم طروحات« وبحوث تاريخية تمهيدية؛ كإحصاء الأعمال الأدبية، وتوثيق نسبتها إلى مؤلّفيها، وتحقيق نصوصها، وما نشر منها ومالم ينشر... ثمّ نخلص إلى العملية التأريخية الحقيقية...وصولا إلى إيجاد الصّلات التاريخية التي جمعت الإبداعات الأدبية المتماثلة تحت مصطلحات تاريخية، كالعصور، الحركات التيارات...»[3].

فبجهود أولئك المؤرّخين، وعملهم الدّقيق في تتبّع حركة الآداب في مسارها التاريخي، ووضعهم لبليوغرافيا شاملة استطاعت أن تغطّي حقبا تاريخية طويلة، فتحوا الباب أمام الدّراسات المقارنة، ومكّنوا الدّارس والباحث المقارن من الولوج للدّرس المقارن بسهولة ويسر.

---

[1] سعيد علوش، مكوّنات الأدب المقارن، ص45.

[2] ينظر : المرجع نفسه، ص45- 46.

[3] أحمد شوقي عبد الجواد رضوان، مدخل إلى الدّرس الأدبي المقارن، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1990م، ط1 ص11.

رابعا- أدوات المقارنة وعدّة الباحث في الدّراسات المقارنة:

إنّ البحث في أيّ ميدان من ميادين المعرفة يتطلّب ويستلزم مجموعة من الشروط والأدوات التي تسهّل عملية البحث وتحقّق النتائج المرجوّة، والدّراسات المقارنة كغيرها من ميادين المعرفة التي تحتاج مجموعة من الأدوات لاستكمال الدّراسة والإحاطة بكلّ ما من شأنه أن ينجح عمل الباحث المقارن. ولكي يحصل على معلوماته من مصادرها الخاصّة « فثمّة أدوات عمل لا غنى عنها مطلقا: 1/ الكتب الببلوغرافية لمختلف الآداب، 2/ في الأدب المقارن الصّرف يجب تتبّع ما صدر من نشرات وعناوين،3/ كتاب الرزنامة الزمنية للآداب الحديثة الصادر بإشراف بول فان تيغم عام 1937م، والذي يجمع أربعة قرون (1500م- 1900م)»[1]، ثمّ يأتي غويار على ذكر سلسلة من المصادر الأخرى التي تحيط بتاريخ الأدب المقارن من كتب ومقالات ظهرت في دول مختلفة من أوروبا ففي «ألمانيا كتاب"إيفيجيني" لغوته -von Goethe وفي إنجلترا، " أناشيد شعراء الحدود السكوتلندية " لوالتر سكوت- Walter Scott ، وفي فرنسا"دلفين" لمدام دوستال- de Staël ، و"عبقرية المسيحية"، و"رينيه" لشتوبريان- Chateaubriand ، وفي إيطاليا " آخر رسائل جاكوبو أورتيس" لفاسكولا، وكتاب"أطر الأدب المقارن" لورنر فريدريخ- 1904م، ومجلاّت الأدب المقارن في فرنسا وإنجلترا والولايات المتّحدة»[2]، فمن خلال أدوات العمل هذه، يتمكّن المقارن من إدراك الفترة التاريخية التي يريدها، وتسهل عليه الإحاطة بأكبر قدر ممكن من تلك الأعمال الأدبية، كما يرى "غويار" أنّ على الباحث المقارن أن يتأهّب بعدّة ليكون باحثا مقارنا بحتا، وأوّل تلك الشروط« أن يتجهّز بثقافة تاريخية كافية تمكّنه من الاطّلاع على الأحداث الأدبية في إطارها التاريخي بالإضافة إلى شرط اللّغة، إذ يستلزم عليه أن يعرف ويتقن عدّة لغات، وذلك لمساعدته في عملية البحث وفهم الأمور في لغتها الأم، وعليه في الأخير أن يعرف من أين يستقي مصادره ومراجعه الأولى أثناء دراسته»[3] فهو بذلك يحدّد معايير خاصّة بالباحث

[1] ماريوس فرانسوا غويار، الأدب المقارن، ص 16- 17

[2] المرجع نفسه، ص 17.

[3] المرجع نفسه، ص 15- 16.

المقارن؛ إذ يجب عليه أن يكون واسع الأفق، موسوعي الثّقافة شديد الملاحظة؛ لأنّ دراسة الآداب ومقارنتها تستلزم معرفة كبيرة بالموضوعات الأدبية وظروفها الخاصّة بها لأنّ لكلّ أدب مناخه الذي يزدهر فيه، ولكلّ قضيّة مشكلاتها ومتطلّباتها، لذلك وجب عليه أن يكتسب بعض المعايير، وبعضها الآخر فطري توفّره الطبيعة للباحث بنفسها.

وتبرز من خلال ما تقدم مكانة المعرفة بالتاريخ العام، والتاريخ الأدبي القومي والأجنبي، ضمن عدة الباحث المقارن. وهي المكانة التي تثبت ضرورة تسلح المقارن برصيد مقبول وكاف من المعارف التاريخية المتصلة بموضوع مقارناته، والّتي من دونها لايستطيع أن يتقدّم خطوة واحدة إلى الأمام في بحثه، ولا أن يستحق تسميته بالباحث المقارن في حقل الدّراسات الأدبية المتخصصة.

الفصل الأوّل:

الأدب المقارن وتجلّياته في الدّراسات الأدبية عند العرب.

- المبحث الأوّل: أوّليّات الدّراسات المقارنة عند الغرب، وعند العرب.
- المبحث الثاني: فكرة المقارنة في الدّراسات العربية الحديثة.
- المبحث الثالث: منهج طه حسين في دراسة التراث الأدبي العربي.

تمهيد:

ممّا لا شكّ فيه أنّه لا يمكن لأيّ أمّة من الأمم أن تدافع عن وجودها وهويتها، وتحقّق هدفها التطوّري الحضاري، إلاّ إذا استطاعت أن تنزع عنها العقليات الموروثة السائدة، وتحدث تحوّلات نحو صيغة علمية جديدة قادرة على استيعاب تغيّرات العصر، وما يحمله من رؤى وأفكار حديثة، تؤهلها لحمل رسالتها لعالم تحكمه العقول والنفوس الطامحة إلى الإبداع والعمل، وكذلك جرى الحال بالنسبة للأمّة العربية حين تطلّعت لنهضة فكرية تساير بها الغرب المتطوّر في شتّى العلوم والمعارف، فكانت رحلتهم الحضارية ومحاولة فهمهم للآخر ولفكره وثقافته رحلة طويلة امتدّت منذ عصور بعيدة.

وفي مباحث هذا الفصل سنحاول التعرف على تلك الرحلة الفكرية والجهود الكبيرة التي قدّمها العرب منذ جاهليتهم في احتكاكهم بالأمم الأخرى واتّصالهم بمن حولهم ماديًا وأدبيًا، محاولين بذلك التّعبير عن كيانهم الفكري والأدبي والثقافي فأثّروا بثقافتهم وأدبهم في الأمم التي اتّصلوا بها واتّصلت بهم، كما أثّروا بدورهم في ثقافات وآداب تلك الأمم، فنزعوا إلى المقارنة بين أدبهم العربي والآداب التي عرفوها، واستمرّت تلك المقارنة حتى العصر الحديث، مع كوكبة من الدّارسين والنقّاد المحدثين، الذين تسلحوا برؤى ومناهج حديثة.

المبحث الأوّل:

أوّليات الدّراسة المقارنة عند الغرب وعند العرب.

- أوّلا- أوّليات الدّراسة المقارنة عند الغرب.
- ثانيا- أوّليات الدّراسة المقارنة عن العرب.

إنّ البحث في التاريخ البشري منذ الأزل يعود بنا إلى أنّ المقارنة، ظاهرة لصيقة بالمجتمعات في شتّى الميادين تسهم في بنائها وتطوّرها، فحيث ما وجد البشر وجد الاحتكاك بينهم، فتتجلّى حينها ظاهرة المقارنة، فهي «حالة أنطولوجية ملازمة لسيكولوجية الأفراد والجماعات، ولا تخصّ مجال الأدب وحده»[1].

إذن؛ فالمقارنة حالة ملازمة للإنسان مذ أن وجد، فهي سلوك نابع من ذات الفرد، يساعده في التطوّر على الصعيدين الشّخصي، والاجتماعي، كما تحسّن من إمكانياته مقارنة بالأفراد، وبغيره من الجماعات الأخرى، ومنها امتدّت ظاهرة المقارنة، وتطوّرت إلى أن ظهرت كدراسات تهتمّ بحقول وجوانب معرفية مختلفة كالحقل الأدبي والثقافي.

والحديث عن احتكاك الأمم والشعوب السّالفة ببعضها البعض يدفعنا للبحث عن العوامل التي أسهمت في ظهورها، حيث « بدأ ذلك الإحساس بالعالم وبالآخر لدى الأمم القديمة من خلال الحروب والتجارة والهجرات، والاحتكاك الثقافي بين الحضارات، فقد انتقلت تلك الأفكار من مكان لآخر بالقبول أحيانا، وبالقوّة في أغلب الأحيان»[2]، فهذه العوامل هي التي أسهمت في انفتاح الشعوب على بعضها وسهّلت انتقال الأفكار والثقافات، وبذلك تجلّت ظاهرة المقارنة في صورتها الأولى.

أوّلا- أوّليات الدّراسة المقارنة عند الغرب:

ممّا لا شكّ فيه أنّ التّأريخ لأيّ علم من العلوم، مرتبط ارتباطًا وثيقا بالظواهر التي سبقت وجوده «فعندما نؤرّخ لفرع من فروع المعرفة الإنسانية بصفة عامّة، فإنّه ينبغي لنا أن نفرّق بين وجود الظواهر التي يدرسها ذلك العلم، وبين بدء التنبّه لهذه الظواهر ودراستها ومحاولة تقنينها»[3]، وكذلك الحال بالنسبة

[1] سعيد علوش، مكوّنات الأدب المقارن، ص 27.

[2] عزّ الدين المناصرة، النقد الثقافي المقارن (منظور جدلي تفكيكي)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005م ط1، ص15.

[3] أحمد درويش، نظرية الأدب المقارن(وتجلّياتها في الأدب العربي)، دار غريب للطباعة والنشر والتّوزيع، القاهرة، مصر 2002م، دط، ص17.

لظهور الأدب المقارن في صورته العلمية المكتملة الأركان، فقد جاء مسبوقًا بمحاولات ساذجة تفتقر للمنهجية والروح العلمية، فجاءت ممارسة «الأدب المقارن أو المقارنة الأدبية كإثارة الفضول عند البعض ممارسة تسلية ، ودون جدوى»[1]. فعلى الرّغم من بساطة تلك المحاولات إلاّ أنّها كانت باعثا قويا في تشكّل وبداية ظهور الدّراسات المقارنة، وبالبحث عن أقدم ظاهرة من حيث تأثير أدب في أدب آخر، وما ترتّب عن ذلك التأثير من نتائج، فنجد «ما أثّر به الأدب اليوناني في الأدب الروماني ، ففي عام 146 ق.م، انهزمت اليونان أمام روما، ولكنّها ما لبثت أن جعلتها تابعة لها ثقافيا وأدبيا»[2]، وعلى إثر تلك الحروب وما حملته معها من فكر، وثقافة وعلوم، ظلّ الأدب الروماني مدينا للأدب اليوناني في ازدهاره وتناميه، وإن كانت تلك الحرب قد انتهت بهزيمة اليونان وانتصار روما، غير أنّ ذلك الانتصار العسكري لم يشفع لروما، وجعلها تابعة لليونان منهزمة ثقافيا وأدبيا، وذلك عندما أخذ الأدب الروماني « يتمثّل تلك الثقافة، ويحاول محاكاتها، والسّير على منوالها، ومن هنا جاءت دعوة "هوراس"(65- 08 ق.م)، في مقالة عن الشعر، حين قال: اتّبعوا أمثلة الإغريق، واعكفوا على دراستها ليلا، واعكفوا على دراستها نهارا»[3]، فمحاكاة الرومانيين لأدباء اليونان، كان الهدف الأوّل منها هو النّهوض بالأدب الروماني، وذلك بعد الصّدمة التي تعرّض لها هذا الأدب عند اتّصاله، وانفتاحه على روائع الأدب اليوناني وفنونه الأدبية المختلفة التي بلغت حدّ الكمال وأثارت بقوّتها الفنيّة والجمالية العجب والإعجاب، وبناء على ذلك الهدف النهضوي جاءت محاكاتهم « مختلفة عن تلك التي دعا إليها أرسطو فرغبتهم من تلك المحاكاة كانت النهوض بالأدب اللّاتيني»[4] وبالإضافة إلى رغبة الأدباء اللّاتين في النهوض بأدبهم فقد كانت لهم أهداف أخرى، عبّروا عنها من خلال تلك المقارنات التي عقدوها بين الآداب في عصورها التاريخية المختلفة، وذلك حين رفضوا الامتياز العرقي وتفضيل آداب وثقافات أمم على حساب أمم أخرى، فقد ذهبوا إلى المقارنة بين« آداب الإغريق واللّاتين

[1] سعيد علوش، مكوّنات الأدب المقارن، ص83.

[2] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص23.

[3] محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1994م، ط1، ص19.

[4] محمد غنيمي هلال، المرجع السّابق، ص24.

وبين الآداب الرومانية في العصور الوسطى، وبين الأدبين الفرنسي والإنجليزي في القرن الثامن عشر، فكلّ تلك المقارنات سواء في صورتها البدائية الأولى، أو مراحلها العلمية المتقدّمة، فقد نادت بإدانة المزاعم القومية وإدّعاء التفوّق العنصري المعادي للإنسانية»[1]، وعليه فقد عرفت الآداب الأوروبية القديمة الموازنة لغايات وأهداف مختلفة. ولا بدّ من الإشارة إلى أبرز تلك المحاولات في صورتها البسيطة الأولى، ومن أمثال تلك المقارنات نذكر ما سعى إليه « الناقد الروماني "كانتيليان Quintilianus" (35- 96م)، حين وضع نظرية محاكاة جديدة تختلف عن تلك التي جاء بها أرسطو، فسنّ لها قواعد خاصّة وشرحها للنقاد، وتبعا لتلك النظرية، كان النقاد والمؤرّخون الرومان يقارنون بين الكتّاب ونماذجهم من اليونان، وقد مثّلت تلك المرحلة سورة ساذجة للمقارنة»[2]، أمّا في العصور الوسطى التي سيطرت فيها الكنيسة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بما فيها، الحياة الثقافية والفكرية، وتلك الهيمنة أثّرت في نشأة المذاهب والاتّجاهات الفكرية المختلفة في أوروبا، ففي تلك الفترة توحّدت الآداب الأوروبية تحت ظلّ مجموعة من العوامل المشتركة، فخلالها «توحّد رجال الدّين والأدباء في الغرب تحت وحدة العقيدة الدينية والثقافة اللّاتينية، وأساطير الدين، والفروسية الشعبية فقد أشعرتهم تلك الوحدة بأنّهم مواطنون لمدينة إلهية إنسانية واحدة»[3].

وعقب انتهاء العصر الوسيط الذي انتهى معه الرّكود الفكري استأنفت الحضارة الأوروبية تقدّمها من جديد، فمع إشراقة عصر النهضة تجلّت مظاهر التّجديد بحوادث كبرى وتطوّرات عظيمة أشبه ما تكون بالثورات، الثورة الدينية، السياسية، والثورة الفكرية، هذه الثورة التي امتدّت حدودها الزمانية من« القرنين الخامس عشر والسادس عشر، فأهمّ ما يميّز تفكير هذا العصر هو اكتشاف القديم، وبعثه والعودة إلى الينابيع الأولى، فكان أرسطو الإغريقي (384- 322ق.م)، وهوراس اللّاتيني (65 ق.م)، هما المثل الأعلى

[1] كلود بيشوا، أندريه، م روسو، الأدب المقارن، ص30.

[2] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص 24- 25.

[3] فان تيغم، الأدب المقارن، ص 26 -27.

لشعرائه، واحتذى أدباؤه الأنماط نفسها التي كانت سائدة في العصر الكلاسيكي»[1] فعصر النهضة هو التفاتة نحو الماضي، والنهل من ينابيعه الصافية ومحاولة مجاراة القدماء والسّير على منوالهم، وذلك بالرّجوع إلى صفوة مفكّريهم وأدبائهم، والأخذ عنهم ومحاولة تقليدهم، وذلك ما عزّز روابط الإنسانية، ووثّق صلتها بين مختلف بلدان أوروبا، ومع بداية القرن الثامن عشر، وثورة الفرنسية على الكتابة باللّغات اللّاتينية والتفاتهم إلى لغتهم القومية « ذاعت اللّغة الفرنسية في أوساط أوروبا عند أبناء الطبقات الراقية واشتهر الكُتَّاب الفرنسيون، وتشابهت الأذواق الأدبية والاتّجاهات الفكرية، واجتمع أدباء كافّة البلدان تحت لواء عالمية عقلية»[2].

وقد ساعدت تلك الحركة الفكرية القوية التي شهدتها فرنسا؛ الفرد الفرنسي في رفع مكانته كإنسان وجعلت فرنسا في مقدّمة العالم الأوروبي، وأصبحت بذلك محورا ثقافيا فعّالا يستقطب الأدباء والمفكّرين فتقاربت الرّؤى حينها وانسجمت الأفكار«ومع بداية القرن التاسع عشر، كانت قد تجهّزت الأرضية أمام الأدب المقارن بسبب الحروب، وهجرات المثقفين، وثورة الدّراسات التاريخية والفيلولوجية وتأثير الرومانطيقية، ممّا أدّى بالنقّاد إلى اعتبار آداب أوروبا كلّا متكاملا تنطوي أجزاؤه المختلفة على اختلافات وتشابهات»[3]، وفي ظلّ تلك التحوّلات التاريخية والفكرية العظيمة حاول المفكّرون، والأدباء تجاوز العصبية الفكرية والعنصرية القومية في التعامل مع آداب الأمم والقوميّات الأخرى، فجميع تلك الظروف قد ساعدت ومهّدت الطريق أمام الأدب المقارن ليظهر للوجود كعلم مستقلّ بذاته في الثلث الثاني من القرن التاسع عشر.

[1] الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن(أصوله، وتطوّره ومناهجه)، ص 13.

[2] فان تيغم، الأدب المقارن، ص27.

[3] المرجع نفسه، ص 27- 28.

ثانيا- أوّليات الدّراسة المقارنة عندالعرب:

ممّا لا مرية فيه، أنّه لا يمكن لأيّ أمّة من الأمم مهما بلغت من الرقي، أن تكتفي بنفسها، وتستغني عن التراث الإنساني العام، وكذلك كان حال الأمّة العربية في كل أطوار تاريخها. فقد تفطّن الإنسان العربي على مدى العصور إلى ضرورة الاتّصال بالآخر، وذلك بمنحه وعطائه وبالأخذ عنه كذلك، وأنّ الحياة لا تتطوّر إلاّ من خلال ذلك الاتّصال الذي يحقّق تراكما في الخبرات الإنسانية، ولما كان الأدب انعكاسا لحياة الإنسان وخبراته وتجاربه، فقد سعى العرب إلى مخالطة غيرهم من الأجناس، وكان لهم نصيب وافر في مجاورة الأمم ومخالطتها والاحتكاك بها على عكس ما كان« شائعا بين الناس أنّ العرب في جاهليتها كانت أمّة منعزلة عن العالم لا تتّصل بغيرها من الأمم، فالصحراء من جانب والبحر من جانب آخر منعاها من الاتّصال بمن حولها، فلا تتّصل بهم في مادّة، ولا تقتبس منهم أدبا ولا تهذيبا، وتلك فكرة خاطئة، فالعرب كانوا على اتّصال بمن حولهم ماديا، وأدبيا»[1] ولأنّ الأمّة العربية عاشت ذلك الاحتكاك، وحقّقت التواصل مع شعوب الأمم الأخرى، فلا شكّ أن يمتدّ أثر ذلك الاتّصال لأدبنا العربي.

ولما كان التواصل والاحتكاك هو أساس الدّراسة المقارنة، فإنّنا نجد آثار هذه الظاهرة واضحة المعالم في أدبنا «فقد عرف الأدب العربي شعرا ونثرا ظاهرة التأثير والتأثّر منذ ظهوره، كما استخدم الأدباء كلمات أجنبية، فارسية، وإغريقية، وذلك لاختلاط العرب بغيرهم من الشّعوب»[2]، وقد جاء تراثنا النقدي غنيا بما يسمّى "بالمفاضلات"، وذلك حين فاضل النقاد العرب بين نصّ أدبي وآخر، ومن نماذجها المبكّرة «تفضيل الشعراء على بعضهم البعض، والاستعداء على الشعراء" للمدائني (225ه)، "فحولة الشعراء" للأصمعي (216ه)، وقد اقتصر منهج المفاضلة العربية وأحكامها في الوقوف على ظاهر ما يشدّ النفس من بريق ألفاظ

[1] أحمد أمين، فجر الإسلام، مطبعة الاعتماد، مصر، دت، ط2، ص 13.

[2] محمد عباسة، المدرسة العربية في الأدب المقارن، مجلّة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، ع17، 2017م، ص 02.

وسهولة معانٍ، ولم تتوغّل إلى عمق البناء الفنّي»[1]، وعليه فالمفاضلة في النقد العربي اهتمّت بظاهرة اللّفظ والمعنى، ولم تتجاوزه إلى عمق البناء الفنّي الذي يفضي إلى الدراسة الأدبية الحقّة، وفي ذلك يذهب "مناف منصور" إلى أنّ المفاضلة « ليست شكلا من أشكال الدّراسة الأدبية، تحدّدت أصولها ومناهجها وأحكامها بدقّة، بقدر ما هي في الأساس منزع امتدّ إلى الموازنات والوساطات والسّرقات»[2]، كما مارس أدباؤنا ضربا آخر من أضرب النقد العربي، عرف بالموازنة فاهتمّوا به وأولوه أهميّة متميّزة في مصنّفاتهم النقدية وفكرة الموازنة بين الأعمال الأدبية، لها امتداد طويل في تاريخ نقدنا العربي القديم، ولعلّ «أقدم ما نعرف منها، الموازنة التي جرت بين امرئ القيس، وعلقمة الفحل، واحتكم فيها لأم جندب زوجة امرئ القيس، وقد كانت الأسواق آنذاك معرضا لتلك الموازنات كسوق عكاظ؛ يحتكم فيها الشعراء فيما بينهم على نحو ساذج لتحكم بالأفضلية على آخر، أوله على الشعراء جميعا»[3]. وعليه؛ فقد نشأت الموازنات العربية بسيطة جزئية تنتهي إلى أحكام عامّة، وقد امتدّت تلك الموازنات النقدية عبر عصور مختلفة، ولم تقتصر على عصر أدبي واحد،« ففي الجاهلية وازنوا بين امرئ القيس والنابغة وزهير، وفي العصر الأموي بين جرير والفرزدق والأخطل، وفي العصر العباسي بين أبي نواس ومسلم بن الوليد، وأبي العتاهية، وابن الرّومي، وتمام والبحتري، وكذلك عقدت موازنات في العصر الذي نعيش فيه»[4]، ولعلّ أبرز ما ألّف في هذا الفن في النقد العربي بمقاييس علمية موضوعية إلى حدّ بعيد، ومنهج متميّز في زمن عرف حركة نقدية، وثقافية كبيرة كانت دافعا في تأليفه؛ مصنف« (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام الجمحي(231ه)، إذ تعدّ المحاولة الأسبق في هذا الفن، حيث أقام الجمحي موازنات للشعراء حسب طبقاتهم المختلفة بالنظر إلى كثرة الشعر

[1] مناف منصور، مدخل إلى الأدب المقارن(سعيد عقل، وبول فاليري)، منشورات مركز التوفيق والبحوث، بيروت، لبنان 1980م، دط، ص29.

[2] المرجع نفسه، ص 30.

[3] الطاهر أحمد مكي، في الأدب المقارن، ص 08.

[4] زكي مبارك، الموازنة بين الشعراء(أبحاث في أصول النقد وأسرار البيان)، مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، 1926م، ط1 ص 01- 02.

وتعدّد أغراضه وجودته»[1]. وقد عرف النقاد العرب فن الوساطة الأدبية كذلك، وما جاء به ابن قتيبة في تقسيمه للشّعر وتصنيفه للشعراء، ورؤيته المتفحّصة العادلة لنتاجات المتقدّمين منهم، والمتأخّرين. وهو ما جعل منه «رائدا في فنّ الوساطة في النقد الأدبي في القرن الثالث، حيث أدرج في مصنّفه "الشعر والشعراء" فيذكر الشاعر، وزمنه وقبيلته، ومنزلته، وصلته بغيره، والحسن من أخباره، والجيّد من قوله، فهو بذلك كان يحكم بين الشعرين لا بين العصرين»[2]، ولعلّ أبرز محاولة اقتربت من منهج الدّراسة المقارنة في تراثنا العربي القديم كانت عند الجاحظ في دراسته التي أهّلته لأن يكون « الوحيد بين علماء عصره الذي تقع بين فكره على بعض الملامح التي يمكن أن تدخل في نطاق الأدب المقارن»[3]، إذ لا شكّ في أنّ الجاحظ قد عاش في عصر ازدهرت فيه الحركة العلمية ازدهارا واسعا في بداية العصر العباسي الثاني، وقد أصبحت الجزيرة العربية مترامية الأطراف منفتحة على ثقافات الشعوب وآداب الأمم الأخرى، ولا بدّ من أنّه قد كان للجاحظ نصيب من ذلك التلاقح الفكري والثقافي، وبالتالي كانت له رؤية نقدية مقارنة في دراساته، أوحت بها ظروف العصر وثقافته، ففي ظلّ ذلك الجوّ الثقافي والفكري الذي ساد العصر العباسي آنذاك« دخلت الفارسية على اللّغة العربية فأطنب الكتّاب العرب في الأخذ منها ، وتوسّعوا في المعاني وأكثروا المفردات والجمل على سبيل الترادف والازدواج، كما صوّروا الحياة الاجتماعية لتلك الأمم، كبخلاء الجاحظ، وهو أشهر مثَل لهذه الطريقة من بين علماء عصره»[4]، وهذا ما يبيّن لنا أنّ الأرضية الفكرية التي قامت عليها المقارنة، كانت قائمة وموجودة عند كلّ من الحضارتين الغربية والعربية، وإن لم تعرف طريقها إلى مناهج المقارنة الدّقيقة، وأنّ

[1]طارق زيناي، قضية الموازنة بين الشعراء وتجلياتها في النقد العربي القديم، مجلّة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة، الشيخ مبارك الميلي، بوزريعة، الجزائر، ع3، 2020م، ص225.

[2]مناف منصور، مدخل إلى الأدب المقارن(سعيد عقل، وبول فاليري)، ص 30 ، 31.

[3]الطاهر أحمد مكي، في الأدب المقارن، ص 12.

[4]عبد الحليم محمد حسين، الجاحظ (الأديب الساخر)، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، ليبيا، 1981م ط1، ص 07.

أدبنا العربي القديم والنقد منه بوجه الخصوص؛ لم يخلُ من فكرة المقارنة بكلّ ما تحمل تلك المقارنة من تسامح في المنهج والتطبيق.

المبحث الثاني:

فكرة المقارنة في الدّراسات العربية الحديثة.

- **أوّلا- المقارنة الأدبية في الدّراسات العربية الحديثة.**
- **ثانيا- ظهور مصطلح الأدب المقارن في الدّراسات العربية الحديثة.**

تهيّأت الأرضية الثقافية العربية منذ منتصف العقد الرّابع من القرن العشرين لتأسيس الأدب المقارن في العالم العربي بمنهجه ومصطلحه، وجميع خصوصياته، والحديث عن هذه الحقبة التاريخية المتقدّمة يدفعنا إلى العودة نحو الإرهاصات الأولى لهذا الحقل المعرفي وبداية ظهور الدّرس المقارن في الفكر العربي وذلك من خلال محاولات بعض الدّارسين العرب التي أرّخت للدّراسة المقارنة في وطننا العربي.

أوّلا- المقارنة الأدبية في الدّراسات العربية الحديثة:

يمكن اعتبار سنوات النهضة العربية الحديثة بداية تشكّل الفكر العربي الحديث، وانتقاله من مرحلة الجمود والرّكود الفكري إلى مرحلة أخرى جديدة، ووعي جديد. «ويُرجع بعض الدّارسين بوادر تشكّل الفكر العربي الحديث إلى الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م»[1]، فحملة "نابليون بونبرت" (**Napoléon Bonaparte**)، على مصر شكّلت مرحلة مفصليّة في تأريخ الثّقافة العربية، والوعي العربي إذ تركت مجموعة من الآثار المتنوعة، شملت شتى ميادين المعرفة، ومسّت جوانب العلم والثقافة، وذلك حين حدث «احتكاك، واصطدام بين الحضارتين الإسلامية، والمسيحية الذي مثّلته هذه الحملة، إلى ظهور عدّة معطيات ومفاهيم فكرية، واجتماعية، وفلسفية، وسياسية جديدة، لم يشهدها العالم العربي والإسلامي منذ اِنطوائه تحت ظلّ الخلافة العثمانية»[2].

فمع هبوب رياح الضّفة الشمالية، برزت للعالم والإنسان رؤى فكرية جديدة؛ هذه الرؤى التي ساعدت العقل العربي في الانفتاح على الآخر، ودفعته إلى مراجعة مسيرته الحضارية، بعدما كان غارقًا في سبات فكري عميق.

[1] الغالي غريب، دراسات في تاريخ الدّولة العثمانية والمشرق العربي (1212- 1916)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2011م، ط2، ص213.

[2] المرجع نفسه، ص ن.

وقد كان صدى هذه النّهضة واضحًا على أدبنا العربي، كما كانت جهود النهضويّين العرب كبيرة جدًا إذ تجسّدت في دعوتهم الصريحة إلى الانفتاح على نهضة الغرب، والاستفادة من أفكاره ورُؤاه بعيدًا عن تعلّقهم الشّديد بتراث حضارتهم، لأنّ «هذا التُراث عندما يتجمّد، ولا يتجدّد، يسير نحو الضّمور فالزّوال ويَحُول بالتّالي بين الفرد، وبين كامل إدراكه لذاته وغيره»[1].

ومن ثمّ جاءت نهضتنا الفكرية مرتكزة على الماضي تتطلّع لواقع أدبي وفكري، وثقافي يساير العصر ويتماشى مع ما يحمله من وعي وفكر جديدين. وقد تجلّت النّهضة العربية في صُور عديدة، أسهمت في ظهورها عوامل كثيرة؛ فمع نهايةالقرن التّاسع عشر بدأت الحركات التحررية في الظهور، و« تعدّدت الثورات ضدّ الاستبداد والطّغيان السّياسي، وبدأت مصر تُعنى بإحياء التراث الأدبي القديم فذاعت الصّحافة وكثُرت المطابع، وبدأت الثقافة الغربية تَفِدُ على عواصم العالم العربي، وتغزو معاهده وجامعاته، عن طريق أعضاء البعثات الموفدة إلى أوروبا»[2]، كلّ هذه العوامل ساعدت الفكر العربي في الخروج من قوقعته، والتعرّف على الآخر وفكره، بالإضافة إلى حركة التّرجمة الواسعة التي نقلت إلى اللّغة العربية، وقرّائها مجموعة كبيرة من العلوم والمعارف والفنون الأوروبية، كما سرّبت إلى الضفة الأخرى ثقافتنا العربية وعلومها وآدابها

ونتيجة هذه الصّلات الفكرية حدث تلاقح بين الثقافتين، واحتكّت الآداب فيما بينها، وعلى إثر ذلك التقارب والاحتكاك ظهرت الدّراسات المقارنة الحديثة عند الغرب أوّلا، أمّا في الوطن العربي فَيعزَى الفضل في ظهورها إلى مجموعة من المفكّرين العرب الّذين مارسوا فعل المقارنة في بواكير عصر النّهضة العربية الحديثة؛ وذلك حين قام كلّ من « رفاعة الطّهطاوي، وعلي مبارك، وأحمد فارس الشدياق، ويعقوب صروف، وغيرهم، بموازنة بعض مظاهر الثقافة العربية بالثقافة الغربية، ودرسوا جوانب من التشابه

[1] علي أسعد وطفة، الجمود والتّجديد في العقلية العربية (مكاشفات نقديّة)، منشورات الهيئة العامّة السوريّة للكتاب دمشق، سوريا، 2007م، ط1، ص141.

[2] محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجيل، بيروت،لبنان، 1992م، ط1، ص16.

والاختلاف بينها»[1]، ويُعدُّ "رفاعة الطهطاوي" رجل النهضة العربية الأوّل، وذلك لما قدّمه من ترجمات وأبحاث وازن فيها بين الثقافات الشرقية والغربية، فهو « أوّل مترجم، وأوّل رائد للنّهضة الأدبية»[2] فقد قضى حياته بين تربية جيل حمل على عاتقه عبء نشر الثقافة والوعي، فنقل إلى العربية ذخائر الغرب المكنونة، وألّف كُتبًا أنارت الطريق أمام نهضتنا العربية، وتناولت مشكلات العصر السياسية، والاجتماعية بعقل حصيف وقلم رزين «ويُعَدُّ كتابه(تخليص الإبريز في تلخيص باريز) اللّبنة الأولى في فكرة المقارنة بين الشّرق والغرب»[3] وهو خلاصة رحلته العلمية التي قضاها بفرنسا، والتي مكّنته من معرفة ثقافتهم والاطّلاع على آدابهم وفنونهم فتشبّع عقله بما حملته النهضة الإنسانية التنويرية من أفكار، فقد تزامنت رحلته مع« عصر التنوّر الفرنسي الذي ترك أثرًا دائمًا في تفكيره، وفي التّفكير المصري بواسطته»[4]، وبعد الذي قدّمه "رفاعة الطهطاوي" في دراسته الرائدة التي شكّلت بداية الاهتمام بالدّراسات المقارنة في صورتها الأوّلية، كانت هناك محاولات أخرى تجسدت فيها مظاهر المقارنة، كتلك الدّراسة التي قدّمها "علي مبارك"، ومثّلت محاولته « اللبنة الثانية من حيث الأهميّة، وهي مطوّلة (علم الدّين)، التي حملت محاولة قويّة لتحديد الموقف من الآخر»[5]، وإلى جانب محاولة "رفاعة الطّهطاوي"، و"علي مبارك"، ظهرت أسماء أخرى نزعت في دراستها نحو المقارنة ونذكر من بينهم «فارس أحمد الشدياق في كتابه (كشف المُخَبَّا عن فنون أوروبا) وغيره كثير ممّن سجّلوا الفجوة الحضارية بين الغرب، وما وصل إليه الحال في الوطن العربي سياسيًا واجتماعيًا»[6]، فما قدّمه هؤلاء الدّارسون من أبحاث ودراسات مقارنة، كان يهدف بالدّرجة الأولى إلى كشف الانهيار السياسي والاجتماعي والثقافي الذي كان يعيشه الوطن العربي، مقارنة بالغرب الذي حقّق نهضة عظيمة مسّت جميع الجوانب

[1] محمد عباسة، المدرسة العربية في الأدب المقارن، ص10.

[2] حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن(عربيا وعالميا)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1999م، ط2، ص117.

[3] المرجع نفسه،ص ن.

[4] ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النّهضة (1798-1939)، دار النهار للنّشر، بيروت، لبنان، دت، دط، ص92.

[5] حسام الخطيب، المرجع السّابق، ص 117- 118.

[6] يوسف بكّار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص21.

الفكرية والثقافية، كما لم تقتصر مقارنتهم على الجانب السياسي والاجتماعي فحسب، بل اهتمّوا كذلك بالجانب الأدبي، وذلك حين قدّموا«كتابات أدبية أخرى وازنت بين خصائص الشعر العربي وخصائص الشعر الأوروبي، كما تناولت فنون أدبية جديدة كفنّ المسرح»[1].

ومع أواخر القرن التّاسع عشر تناول روّاد النّهضة الفكرية العربية الآداب الغربية بالدّراسة، وعكفوا على مقارنتها بالتراث العربي، كما ركّزوا على التّرجمة والاقتباس من الفكر الغربي. ومن نماذج تلك الدّراسات « مقالة يعقوب صروف التي عنونها بـ"الانتقاد"، وحاول فيها الموازنة بين النّقد الغربي والنّقد العربي»[2] لتستمرّ بعدها هذه الحركة النهضوية، وذلك مع بدايات القرن العشرين، مع كوكبة أخرى من الدّارسين تزايد اهتمامهم وحسّهم للمقارنة والموازنة، فقارنوا بين الأدب العربي وأدب الإفرنج، مقتربين بذلك من حقل الدّراسات المقارنة. «ونجد ذلك واضحًا عند عدد من الكتّاب السوريّين، كخليل ثابت،أسعد داغر،نقولا فياض، أمين حداد، وأبرزهم في المجال المقارني نجيب حدّاد»[3]، فدراسة "نجيب حداد" تتبّعت المسار التاريخي للشعر العربي، والشعر الغربي، ثمّ انتهت بالموازنة بين الشعرين ومقابلتهما، وجاءت في « ثلاث مقالات نشرت تباعًا في مجلّة البيان، افتتحها بالحديث عن الشّعر في الشّرق والغرب منذ أزمنة بعيدة حتى عصر الكتابة، ثمّ انتقل إلى مقابلة الشعر العربي بالشعر الإفرنجي من حيث اللّفظ والمعنى»[4].

ولم يمضِ الكثير من الوقت على تلك المحاولات والدّراسات، حتى تهيّأ الجوّ الثقافي والاجتماعي في البيئة العربية لأوّل محاولة جادّة ومتخصّصة في الأدب الحديث في اتّصاله مع الآداب الأوروبية، وهي الدّراسة التي قدّمها "سليمان البستاني"، وضمنها مقدمة ترجمته لإلياذة "هوميروس"، ثمّ شرحها وحاول

[1] يوسف بكّار، خليل الشيخ، المرجع السّابق، ص21.

[2] دواس حسن، عوامل هجرة المدارس النقدية الغربية إلى السّاحة النقدية العربية، مجلّة البحوث والدّراسات الإنسانية جامعة 20 أوت 1955م، سكيكدة، ع14، 2017م، ص123.

[3] حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن(عربيا وعالميا)، ص126.

[4] عادل غضبان، نوابغ الفكر العربي(الشيخ بخيت الحداد)، دار المعارف، مصر، 1899م، دط، ص73.

المقارنة بينها وبين الشعر العربي، وقد «صدرت ترجمة سليمان البستاني لإلياذة هوميروس في القاهرة (1904م)بعنوان: "إلياذة هوميروس" معربة نظمًا، وعليها شرحٌ تاريخي أدبي مصدّرة بمقدّمة في هوميروس وشعره وآداب اليونان، والعرب، ومذيّلة بمعجم عام، وفهارس بقلم سليمان البستاني»[1]، ولم يكتفِ البستاني بذلك، وإنّما راح يشرح، ويعلّق على أبياتها الشعرية، ويوازن بين بعض مواقفها، وبين الشعر العربي، إلاّ أنّ مقارنة البستاني لم تبحث عن الصلات التاريخية، وعن عامل التأثير والتأثّر، وإنّما اكتفى في جميع مقارناته بالإشارة إلى أوجه التشابه بين الشعرين العربي واليوناني، محاولاً إرجاع تلك المتشابهات إلى مراحل تطوّر المجتمعين دون ذكر أي تبادل بينهما [2]، فما قام به البستاني يعدّ عملًا عظيمًا ورائدًا في بابه يدلّ على ثقافة واسعة جدًا بالأدب العربي قديمه وحديثه، فضلًا عن اتقانه عددًا من اللّغات الأجنبية التي ساعدته على الترجمة الأمينة. وذلك ما أهّل البستاني لأن يكون«أوّل كاتب عربيّ قام بدراسة جديّة للشعر اليوناني وفلسفة الشّعر»[3]، ثمّ صدر للنّاقد السّوري "قسطاكي الحمّصي الحلبي" كتاب نقدي على ثلاثة أجزاء، جاء جزءه الأوّل والثاني معنونًا بـ:"منهل الروّاد في علم الانتقاد"، صدر بالقاهرة بين عامَي (1906م- 1907م)، ثمّ صدر جزء ثّالثٌ منه بعنوان:" الموازنة بين الألعوبة الإلهية ورسالة الغفران، وبين أبي العلاء المعرّي ودانتي شاعر الطليان 1935م"، وقد نحا الحمّصي في كتابه هذا منحًى نقديًا، حاول فيه تقديم تطبيقات لآراء نقديّة، وفق منهج تاريخي[4].

وبعد عرضنا لكلّ تلك المحاولات التي قدّمها كوكبة من الدّارسين النهضويين العرب والّتي اقتربت من المقارنة المنهجية طيلة القرن التّاسع عشر حتى مطلع القرن العشرين، يظهر قلم آخر ودراسة جديدة أخرى أرّخت لظهور الأدب المقارن في العالم العربي، وهي الدّراسة التي قدّمها الكاتب الفلسطيني "روحي الخالدي"

[1] عزّ الدين المناصرة، النّقد الثقافي المقارن(منظور جدلي تفكيكي)، ص 359.

[2] ينظر: حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن(عربيا وعالميا)، ص120- 123.

[3] ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النّهضة (1798م- 1939م)، ص 361.

[4] ينظر: عزّ الدين المناصرة، المرجع السابق، ص374- 375.

إذ يمكن «اعتبار كلّ الجهود السّابقة مجرّد بواكير وتمهيدات مبدئيّة لظهور العمل الأوّل، الذي يستحقّ أن يكون رائدًا للأدب العربي المقارن، وهو كتاب روحي الخالدي »[1].

ويذهب "عزّ الدّين المناصرة" إلى نفس الرّأي بشأن ريادة الخالدي للأدب المقارن العربي،فيقرّ له بتلك الزعامة في دراسته التي اعتمد فيها المنهج التاريخي، وطبّقه حين قارن بين التراث الأدبي العربي الذي عاش انكماشًا لمدّة طويلة من الزمن، والأدب الفرنسي الذي منحته الثورة الفرنسية روحًا جديدة، فيقول: «يعتبر الفلسطيني" روحي الخالدي" الرّائد التاريخي الأوّل لعلم الأدب المقارن في الوطن العربي وفق المنهج التّاريخي الفرنسي، فقد نشرت دار الهلال بالقاهرة كتابه الرّائد "تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفكتور هوغو" في طبعته الأولى عام 1904م»[2].

وإن كان "روحي الخالدي" قد حظيّ بريادته للأدب المقارن العربي؛ فذلك لمُلامسة دراسته جوهر الدّراسة المقارنة، فقد جاء كتابه غنيًا بالمقارنات التي تتبّعت علامات التأثير والتأثّر بين الشعر العربي والشعر الأوروبي، فالمتصفّح لموضوعات الكتاب سيلحظ الكثير من الرّؤى المقارنة فيما يخصّ الأجناس الأدبيّة على صعيدي المضمون، والبناء الفنّي، كما تطرّق لمظاهر التّأثير والتأثّر، وراح يبيّن أثر الشعر العربي في الشّعر الأوروبي، خاصّة ما تعلّق بشعر "التروبَادُور"، وعن القصص العربي وأثره في ظهور الرّواية الغربية وعن الاتّجاهات والمدارس الأدبيّة،وطبيعة ظهورها، وأهمّ الأعلام، وما قدّموه من إبداع فنّي[3].

وبعد الخالدي إزداد الاهتمام بشكل واضح بأفكار المقارنة، فجاءت دراسات كثيرة عكست ذلك الاهتمام، خصوصًا مع بداية « سنة 1933م، الّتي حملت علامات انعطافة قويّة في هذا الاتّجاه»[4].

[1] حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن(عربيا وعالميا)، ص 1

[2] عزّ الدين المناصرة، النّقد الثقافي المقارن(منظور جدلي تفكيكي)، ص 331.

[3] ينظر: يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص23.

[4] حسام الخطيب، المرجع السّابق، ص141.

ولعلّ ما جاء به الكاتب والناقد المصري "فخري أبو السعود" في مقالاته التي كتبها في مجلّة الرّسالة يعدّ من أبرز وأهمّ تلك المقالات الّتي اكتسبت بطابعها المقارني التّطبيقي مشروعية كاملة في انتمائها إلى الأدب المقارن، فمع« منتصف الثلاثينات ازدادت صفحات مجلّة الرّسالة تألّقًا، بفضل سلسلة من المقالات التطبيقية (1935م-1937م) حول الأدب العربي، والأدب الإنجليزي بقلم الكاتب الشّاعر الموهوب فخري أبو السّعود»[1]، وقد تمحورت مقالاته حول مقارنة الأدب العربي بالأدب الإنجليزي، وتتبّع علاقة المشابهة بينهما في مسارهما التاريخي المختلف، وكذا تطرّقه للمنهج العلمي والخيال الأدبي في كلّ منهما، حيث قدّم مجموعة من «الظواهر المتماثلة في تاريخ الأدبين العربي والإنجليزي، والنّزعة العلميّة والخيال في كلّ من الأدب العربي والإنجليزي»[2]، وبفضل تلك المقالات التطبيقية المقارنة يكون "فخري أبو السعود" قد خطا خطوة مهمّة في تاريخ الدّراسات المقارنة العربية، وتلتها محاولة أخرى جادّة؛ كالترجمة المقدّمة التي أنجزها الشاعر اللّبناني "خليل مطران"، لمسرحية "عطيل" لوليام شكسبير محاولًا العبور بتلك التّحفة الشكسبيرية العظيمة للثقافة العربية حيث « قدّم مقارنة هامّة في مقدّمته لترجمة مسرحية "عطيل" للمسرحي الإنجليزي "وليام شكسبير" william shakespeare(1564م- 1616م)، إذ وقف على مافي نفس هذا الشاعر العبقري من شيء عربي»[3].

وإضافة إلى ماقدمه مطران من مقارنات بيّنت الأثر العربي وتجلّيه في نفس الشاعر شكسبير، فقد عكست تلك الترجمة انفتاح الأدب العربي على المسارح العالمية الكبرى، وبالتالي حملت بشائر ميلاد المسرح العربي، وبداية تشكّله، أمّا في مصر وبعد البعثات العلمية التي نقلت ثقافة أوروبا، ونهلت منها، تزايد الاهتمام بالعلوم الغربية والاغتراف منها، بما فيها علم الأدب المقارن. وفي هذا الباب نجد « ما قدّمه عبد

[1] حسام الخطيب، المرجع السّابق،ص 142.

[2] سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن(دراسة منهجية)، المركز الثّقافي العربي، مصر،1987م، ط1،ص 195.

[3] بومدين جيلالي، النقد الأدبي المقارن في الوطن العربي(رؤية في ضوء المناهج الجديدة)، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللّغات، جامعة الجزائر، 2008م- 2009م، ص 49.

الرحيم أفندي أحمد، ممثّل مصر في المؤتمر الحادي عشر للاستشراق بباريس عام 1897م، وذلك حين قدّم بحثًا لم يطبع؛ عن الصلة بين رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي (973م- 1057م)، والشاعر الإيطالي "أليغري دانتي- A.Dante" (1265م- 1321م) مثبتًا أسبقية النص العربي وتأثيره في النص الإيطالي، وقد سار على هذا الاتّجاه عدد من الكتاب منهم عبد الرحمن بدوي، وأحمد رضا بك»[1]، ثمّ جاءت دراسة أخرى مهمّة تصبّ في نفس الباب في مقارنة الأدب العربي بغيره من الآداب الأجنبية، وهي الدّراسة التي قدّمها الكاتب والأديب المصري "أحمد ضيف"، حيث « برز بمحاضرته الموسومة"الكلام البليغ ودراسته" في الاهتمام بالآداب الأجنبية، ومقارنتها بأدب اللّغة العربية، وبالإضافة إلى الدكتور "أحمد ضيف" برزت أسماء أخرى سارت في نفس الاتّجاه، وأبرزهم "أحمد شناوي" الّذي كتب عن الأدب الياباني، و"حسن رشيد نور" الذي تابع صورة مصر في الأدب الألماني، و"عبد الوهاب عزّام" الذي اشتغل على العلاقات بين الأدبين العربي والفارسي»[2]، وهذه الفترة الزّمنية في تاريخ مصر الفكري، تميّزت بحركة أدبية ونقدية كبيرة، برزت فيها العديد من الأقلام والدّراسات التي سلكت مسلكًا غربيًا في تبنّيها للرؤى والطروحات، والمناهج الغربية وخلالها ظهرت دراسات"طه حسين" التي قدّمت لدارس الأدب العربي طرحًا جديدًا، وقراءة حديثة له؛ في سبيل إحياء تراثنا الأدبي القديم، ومحاولة النهوض به، وذلك حين معالجته لقضايا الفكر والأدب، وتعرّضه لمسألة التّنوير بالأعمال الأدبية الأوروبية ومقايستها مع الأدب العربي، متجاوزًا بذلك حدود الزّمان والمكان واختلاف طبيعة الثقافات، بحثًا عن التّشابه في سبيل المقارنة التّنويرية[3].

[1] بومدين جيلالي، المرجع السّابق، ص 50.

[2] المرجع نفسه، ص ن.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 50- 51.

ثانيا- ظهور مصطلح الأدب المقارن في الدّراسات العربية الحديثة:

ممّا لا شكّ فيه أنّ مصطلح "الأدب المقارن" قد مرّ بمراحل تاريخية مهّدت لظهوره، كما مرّت الدّراسات العربية المقارنة هي الأخرى بمراحل تاريخية، والحديث عن مصطلح الأدب المقارن في الدّرس العربي قد جاء متأخّرًا من حيث الظهور؛ لأنّ الدّارسين العرب مارسوا المقارنة الأدبية ممارسة تطبيق لا ممارسة منهج.

وبالتّالي لم يتناولوه بالدّرس، إلّا بعد مرحلة التّأسيس الفعلية للأدب المقارن في الوطن العربي، غير أنّ ذلك لم يمنع من ظهوره، فقد استعمل مصطلح الأدب المقارن في السّاحة الفكرية العربية «لأوّل مرّة عام 1936م، لدى كلّ من خليل هنداوي، وفخري أبو السّعود»[1]، وهناك اختلاف في الرّأي حول نسبة الريادة المصطلحية والنظرية، فحسام الخطيب يذهب إلى مخالفة الطرح الذي ينسب تلك الأسبقية إلى فخري أبو السعود، ويرى بأنّ «البحث الحالي يصحّح الطّرح السّابق الذي أرّخ لفخري أبو السعود، أنّه أوّل من استخدم المصطلح في مقالاته على مجلّة الرّسالة عام 1936م، وإنّما خليل الهنداوي كان أسبق من غيره إلى استخدام المصطلح، وكان الكاتب الوحيد في الثلاثينيات الذي قدّم في الدوريات العربية تحديدًا للمدلول الذي ينطوي عليه هذا المصطلح»[2].

ثمّ توالى ظهور مصطلح الأدب المقارن بعد فخري أبو السّعود وخليل الهنداوي في مجموعة من المجلّات العربية التي كانت تشغل حيّزا فكريًا في العالم العربي أنذاك، ويشير حسام الخطيب إلى أسبقية مجلّة الرّسالة في استخدامها لمصطلح "الأدب المقارن"، وينفي أن تكون مجلّة المقتطف قد استعملته قبل ذلك، فيقول: « ليس لمصطلح الأدب المقارن، وجود في فهارس مجلّة المقتطف (1876م- 1952م)، بل مجلّة

[1] مصطفى فاروق عبد العليم، محاضرات في الأدب المقارن، كليّة الدّراسات الإسلامية والعربية، بنات بني سويف، مصر 2009م، ط1، ص36.

[2] حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن (عربيا وعالميا)،ص 152.

الرّسالة كانت هي السّباقة إلى استخدامه سنة 1926م، لكنّه اختفى من صفحاتها بعد ذلك، فكأنّه كان طفرة ولم تستمر»[1].

ثمّ مع مرحلة الأربعينيّات عاد المصطلح للظّهور مرّة أخرى، لكن على قلّة، فنجده « قد ظهر في الثّقافة عام 1941م، على شكل عنوان فرعي ولم يتكرّر كثيرا، حتى نهاية الأربعينيات عاد يتكرّر لكن على قلّة، ومن أبرز إطلالاته عنوانان بقلم المقارن الفرنسي "روني إتيامبلRené Etiemble – " ظهرا عند الكاتب المصري "طه حسين"، وكتبا خصّيصا لمجلّة التّحرير، وذلك عام 1948م »[2].

وجدير بالذكر أنّ نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات، هي المرحلة التي بدأ يتشكّل فيها الاهتمام بالدّراسات المقارنة في العالم العربي. أمّا بعد ذلك فقد جاءت مجلّات عديدة استعملت مصطلح الأدب المقارن وتناولته بكثرة خصوصًا مع بداية سبعينيات القرن الماضي. وقد تناول "حسام الخطيب" مجموعة من تلك المجلّات، نذكر من بينها؛المجلّة العربية اللّبنانية التي أظهرت فقرا شديدًا في استعمالها للمصطلح وكذلك الدّوريات العربية ظلّت قليلة الاحتفال به، ومع مطلع السّبعينات نشط مصطلح " الأدب المقارن" من خلال مجلّة المعرفة (دمشق)، وامتدّ ذلك الظهور وأخذ في الاستمرار فاستعملته مجلّة المعرفة والآداب الأجنبية(دمشق)، مع مصطلع الثمانينيات. وكذلك مجلّة فصول القاهرية، أمّا سنوات التّسعينيات، فكان حضوره حافلًا من خلال أعداد خاصّة بالأدب المقارن أبرزها: أعداد المعرفة (دمشق)، عالم الفكر(الكويت) الآداب الأجنبية (دمشق)، الموقف الأدبي(دمشق)، فصول القاهرية[3].

ويتّضح لنا من خلال ما سبق، أنّ المجلّات الدمشقية كان لها حضور تاريخي حافل في استعمال مصطلح الأدب المقارن والترويج له، ويعود ذلك لاهتمام كوكبة من الأقلام الشامية، وإسهاماتها الكبيرة في

[1] حسام الخطيب،المرجع السّابق، ص 152.

[2] المرجع نفسه ، ص153.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

الارهاصات المتقدّمة للأدب المقارن في الوطن العربي. أمّا عن الأسباب التي أدّت بالدّارس العربي إلى إهماله وعدم الاهتمامه به، فتجدر بنا الإشارة إلى أحد أهمّ تلك الأسباب، والتي ترتبط بالعامل النّهضوي، فقد«ظلّ الأدب المقارن في الوطن العربي حتى مطلع الخمسينات متأثّرا بالنّسق الثّقافي النّهضوي في تلك الفترة»[1] فمقارنات الدّارسين آنذاك ظلّت تهدف وتركّز على اتّصال العرب بغيرهم من الأمم الأخرى بغية التعرّف على تلك الآداب من جهة، والتّعريف بأدبهم الّذي ظلّ حبيس عزلته، ومحاولة النهوض به من جهة أخرى، فجاء تركيزهم بعيدًا عن البحث في طبيعة هذا الفرع الجديد من فروع تاريخ الأدب، والتعرّف على ماهيته. وبذلك بقي اهتمامهم متجها إلى «الدّراسات التّطبيقية، وحرصهم على أهميّة التّواصل بين العرب وغيرهم من الأمم لأجل نهضة شاملة في أدبهم العربي، دفع بهم إلى تحديد مفاهيم للأدب المقارن وتطبيقاته بما يتلاءم مع منطلقاته في تلك الفترة»[2]. وعليه يمكن القول إنّ الدّارس العربي حينها كان همّه الوحيد هو تطعيم الأدب العربي بالأدب الغربي، والتعريف بحضارة الآخر، وإعادة بعث أدبه من جديد، والدّعوة إلى عدم تركه «محصورا في عزلته بحجّة صيانته ووقايته»[3].

وختامًا لما سبق ذكره، فقد حاولنا في هذا المبحث أن نتتبّع أهمّ المراحل التاريخية التي مرّت بها الدّراسات المقارنة العربية الحديثة،وخلال ذلك أتينا على ذكر مجموعة من الأعلام العرب، وأهمّ أعمالهم التي أسهموا بها في حقل الأدب المقارن العربي، كما تناولنا -وبرصد مختصر- ما تعلّق بمصطلح الأدب المقارن في الفكر العربي، وعن أحد أهمّ الأسباب التي حادت بالباحثين والدّارسين، وأزاحتهم عن استعمال المصطلح ومناقشته، والاشتغال عليه بما يتناسب مع دراساتهم وبيئتهم الفكرية.

[1] مصطفى فاروق عبد العليم، محاضرات في الأدب المقارن، ص40.

[2] المرجع نفسه، ص 40- 41.

[3] خليل هنداوي، اشتغال العرب بالأدب المقارن(أو ما يدعوه الفرنجة Littérature Comparée)، في كتاب تلخيص كتاب آرسطو في الشّعر لفيلسوف العرب أبي الوليد بن رشد، الرّسالة، ص939.

المبحث الثالث:

منهج طه حسين في دراسة التراث الأدبي العربي.

- **أوّلا- أثر الثقافة العربية والغربية في فكر"طه حسين".**
- **ثانيا- طه حسين وتجديد منهج البحث.**
- **ثالثا- أطروحة طه حسين في قراءته للتراث الأدبي العربي.**

مع نهاية القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، عجّت الساحة النقدية الأدبية بدراسات مستفيضة أغنت رصيد الحياة الأدبية العربية بزاد نقدي واعد، وسعى نقّادٌ كُثُر إلى التّجديد فيها بتمثّلهم لمناهج نقدية جديدة، وفق ما تُمليه عليهم مقتضيات العصر، وكان "طه حسين" واحدا من أولئك النقّاد الّذين أدركوا تلك التحدّيات المستجدّة في السّاحة الفكرية العربية، ما جعله يؤسّس لخطاب نقدي عربي حديث يقوم على مبدأ الوعي بأهميّة التراث، وفي الوقت نفسه الدعوة إلى ضرورة الانفتاح على مختلف إنجازات الثقافة الغربية. وسنحاول – فيما يلي- التعرّف على فكر"طه حسين" من خلال أثر الثقافة العربية، والغربية فيه.

أوّلا- أثر الثقافة العربية والغربية في فكر"طه حسين":

يعدّ "طه حسين" من أبرز الشخصيات في الحركة الأدبية العربية الحديثة، وقامة بارزة أثْرَت الفكر النقدي العربي المعاصر، كما يعدّ أنموذجًا خصبًا للفكر المتجدّد إذ « لا مِراء في أنّ طه حسين كان رائد التمرّد العربي في سبيل حياة أغنى وأعنف، وكان جزءًا من الثورة الجذرية في كيان الأمّة العربية، هذا التمرّد الذي كان ركنًا أساسيًا في زخرفة العتيق وبناء الجديد»[1].

وخلال تمرّده وثورته على المناهج القديمة، حاول "طه حسين" تمثّل منهج علمي جديد قابل به الدّراسات العربية القديمة، ولمعرفة هذا المنهج الذي اتّبعه "طه حسين" في دراسته للتراث الأدبي القديم والأسس المنهجية التي قامت عليها نظريته النقدية في الأدب العربي عامّة، والشعر الجاهلي خاصّة، لا بدّ من الوقوف على دعامتين اثنتين قاما عليهما فكره النقدي، فطه حسين ينتمي « إلى مدرسة فكرية وأدبية خلّدت

[1] محمد زكي العشماوي، أعلام الأدب العربي الحديث(اتّجاهاتهم الفنية)، دار المعرفة الجامعية للنشر والتّوزيع الإسكندرية، مصر، 2000م، دط، ص 408.

اسمها في تاريخ الأدب العربي الحديث، وينبني الفكر النقدي عنده على ركيزتين؛ فأمّا الأولى فقد نبعت من الثقافة العربية، وأمّا الثانية فمردّها إلى الثقافة الغربية، ومن ثمّ فهو مزدوج التّحصيل العلمي»[1].

وقد كوّن "طه حسين" معارفه وأسّس لثقافته وفكره ضمن مجموعة تيارات مختلفة ومتنوّعة، إذ «لا شكّ أنّ في ثقافته تيارات عديدة: التيار التراثي، والتيار الإستشراقي، التيار المصري الخالص، وتيارات الفكر الأوروبي»[2] ، ولعلّ هذا المزيج بين الثقافتين العربية والغربية؛ هو ما دفع "طه حسين" لأن يجرّب مسالك فكرية متعدّدة دفعته لأن يخالف أساليب التّفكير التّقليدية، ويتجاوز المحافظين المتعصّبين للتراث، والرّافضين لكلّ جديد، وفيما يلي سنحاول الوقوف عند أثر كلّ من الثقافة العربية والغربية في فكر "طه حسين"، والبداية ستكون مع:

1) الأصول العربية:

انطلقت الرّحلة الفكرية عند"طه حسين" من الثقافة العربية، والوطن الأم "مصر"، وكانت أولى محطّاته الأزهر الشريف الذي «شهد فيه حلقات الدّرس على أكابر مشايخه في علوم العربية من نحو، وعلوم في المنطق، وأصول الفقه الإسلامي عند أساتذته في التّوحيد الشيخ محمد مصطفى المراغي، وفي الأدب الشيخ السيّد المرصفي»[3] فكان لأساتذته خلال السنوات التي قضاها في الأزهر بالغ الأثر في تحصيله العلمي وتكوينه الفكري والثقافي، وقد ظلّ "طه حسين" مدينًا لهم بحياته العقلية، وعلى رأسهم أستاذه سيّد علي

[1]عماد شارف، المنهج التاريخي عند طه حسين(بين التّأسيس النظري والممارسة التطبيقية)، مجلّة آفاق علمية، المركز الجامعي محمد الشريف مساعدية، سوق أهراس، الجزائر، العدد 10، 2015م، ص 53.

[2]عبد العزيز شرف، طه حسين(وزوال المجتمع التقليدي)، مؤسّسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتّوزيع، تونس 1988م، ط2، ص 07.

[3]إبراهيم الأبياري وآخرون، طه حسين (كما يعرفه كتّاب عصره)، دار الهلال، الإسكندرية، مصر، 2006م، دط، ص 8.

المرصفي؛ الذي أثّر فيه تأثيرا شديدًا بعلمه الغزير وثقافته الموسوعية، فيقول واصفًا إيّاه أنّه كان « من كبار فقهاء اللّغة في مصر، وأسلمهم ذوقًا في النقد، وأصدقهم رؤيا في الأدب، وأكثرهم رواية للشعر»[1]

فالمرصفي كان مدرسة قائمة بذاته، وذلك ما جعل "طه حسين" يحبّ دروسه ويطيل المكوث عنده بغية النهل من علمه وفكره « فأكثر التردّد على درسه في الأدب لمدّة أربع سنوات دون انقطاع عن الدّرس ولا تخلّف عن المجلس، فأحبَّ الأستاذَ ودرسه، وتأثّر به تأثّرا شديدًا لدرجة أنْ أصبح ذوقه مماثلًا لذوق أستاذه في الأدب والنقد، فمذهبه كان نافعًا من حيث التّكوين في الكتابة وتأليف الكلام، وتقويَة الطالب في النقد، وحسن الفهم لآثار العرب»[2]، وقد اتّسمت تلك الفترة التي قضاها "طه حسين" في الأزهر، والتي دامت أربع سنوات ببداية تشكّل وعي جديد، وتعقّل في الفكر، وذلك ما جعل طلبة الأزهر آنذاك في تموّر وقلق فكري؛ ويتحدّث "طه حسين" عن تلك الفترة فيصفها قائلا: «إنّ المدّة التي قضيتها في الأزهر كانت فترة انتقال، فكان محمد عبده يفسّر القرآن على طرق حديثة، والشيخ المرصفي يعلّمنا الأدب، وكلاهما يذمّ الطرق الأزهرية، وكان قاسم أمين يقول بحرية المرأة، وفتحي زغلول يترجِمُ لنا كتبًا قيّمة، والجريدة تنادي بمعايير جديدة، فَكُنّا في اضطراب فكري لا نستقر»[3]، ويتبيّن لنا من خلال الجو الفكري الأزهري آنذاك والذي كان مقبلًا على تحوّل كبير في الرُؤى والأفكار، أنه هو ما أعطى لطه حسين دافعًا قويًّا، ومنَحهُ الجرأة في القراءة الحرّة التي تدافع عن حرية الأدب والأديب.

2) **المؤثّرات الغربية:**

انقطع "طه حسين" عن الدّراسة الأزهرية دون أن يكمل تعليمه، والتحَقَ بالجامعة المصرية، وهي ثاني محطّة في تكوينه العلمي والمعرفي، وقد حظي خلالها بالتتلمذ على يدي صفوة من خيرة «الأساتذة المحاضرين، والعلماء العرب الّذين يجمعون إلى وفرة محصولهم من الثقافة العربية القديمة، سِعة الإطّلاع

[1] طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثقافة، مصر، 2012م، دط، ص09.

[2] المصدر نفسه،ص 11.

[3] سامي الكيالي، مع طه حسين، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1952م، دط، ص17.

على الثقافة الأوروبية الحديثة، فضلًا عن نخبة صالحة من أعلام المستشرقين»[1]، وهذه المرحلة التّعليمية من حياة "طه حسين" كانت مختلفة عن سابقتها التي عاشها في الأزهر الشريف، وذلك من خلال احتكاكه بكبار العلماء المستشرقين الذين قدّموا دراسات هامّة للأدب العربي، فلم ينسَ "طه حسين" فضلهم عليه وانتفاعه بعلمهم، فيقول:« اثنان من المستشرقين الإيطاليّين انتفعتُ بدروسهما إلى أبعد حدّ، أحدهما الأستاذ "نلينو" الّذي درّسنا تاريخ الأدب العربي في العصر الأموي، والثاني الأستاذ" سانتيلا" الّذي درّسنا تاريخ الفلسفة الإسلامية، وترجمة الثقافة اليونانية إلى العربية»[2]، فهذه المزاوجة بين الثقافة العربية والثقافة الغربية التي حظي بها "طه حسين" في مرحلتين مختلفتين من حياته، هي ما مكّنته من فهم الدّرس الأدبي، ومن دراسة الأدب بطريقة مختلفة عن تلك التي عهدها في الأزهر سابقًا، ونجده يشير إلى ذلك في مقدّمته لكتاب أستاذه"نلينو"، فيقول:« ولأوّل مرّة عرفنا أنّه من الممكن أن ندرس الأدب العربي على أساس من الموازنة بينه وبين الآداب القديمة الكبرى، وأنّ الحياة الإنسانية تتشابه وتتقارب مهما اختلفت ظروفها فالآداب مرآة لحياة العصر الذي ينتج فيه، ولا سبيل لدراسته إلاّ من خلال الحياة التي أثّرت فيه، فلِلأدب مظهران: فردي وجماعي»[3]، ولعلّ إعجاب "طه حسين" بالثقافة الغربية، وإقباله عليها ومحاولة فهمه واستيعابه لمناهجها، لم يكن تغريبًا ثقافيًا، ولا انبهارًا مبالغًا فيه، بل كان بهدف الاستفادة منها، لخدمة الأدب العربي والنهوض به، فتلك «الثقافة الأوروبية التي حاول "طه حسين" استيعابها كانت مسخّرة في المقام الأوّل لخدمة تراثنا العربي، فكانت الغاية هي الاغتراف من هذه الثقافة، وهضمها وتمثلها، وإخراجها للناس مصبوغة بلون تفكيرنا، مطبوعة بطابع عقائدنا»[4].

[1] إبراهيم الأبياري وآخرون، طه حسين (كما يعرفه كتاب عصره)، ص8.

[2] فؤاد دوارة، عشرة أدباء يتحدّثون، تر: شفيق مقار، الهيئة المصرية العامّة للكتّاب، القاهرة، مصر، 2012م، دط، ص 18- 19.

[3] كارلو نلينو، تاريخ الآداب العربية(من الجاهلية حتى عصر بني أميّة)، دار المعارف، مصر، 1954م، دط، ص 12- 13.

[4] إسماعيل سراج الدّين، لطفي عبد الوهاب، طه حسين معلّم الأجيال، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2006م، دط، ص 23.

أنهى "طه حسين" تعليمه الجامعي بعد أن تذوّق بعضًا من ثقافة الضّفة الأخرى، وفهم منهجهم في دراسة الآداب فهمًا عميقًا مكّنه من تقديم أوّل أبحاثه، وهو«الباكورة الأولى من آثاره الباقية، وهي رسالته "تجديد ذكرى أبي العلاء"، التي نوقشت في 15 مايو 1914م، ونال عليها أوّل دكتوراة منحتها جامعة مصرية»[1].

وآخر محطّة عبرها "طه حسين" خلال رحلته الفكرية انتهت ببعثته نحو الخارج، فقد كانت حياته الفكرية حينها مقسّمة على مجموعة من المعاهد الفرنسية؛ الّتي ضمّت أعظم مفكّري ذلك العصر بفرنسا وأوّل تلك المعاهد كان معهد« السُوربون الذي حضر فيه دروس التاريخ القديم، فدرس تاريخ اليونان على غلوتز، وتاريخ الرومان على بلوك، والأدب الفرنسي على لانسون، والفلسفة والاجتماع على دوركايم وديكارت على ليفي برول، والمعهد الثاني كان كوليج دي فرانس؛ حضر فيه درس القرآن وعلم النفس، والمعهد الثالث مكتبة القِدّيسة جنيفياف، ورابع معهد كان بيته»[2]، والواضح أنّ "طه حسين" كان متنوّع المعارف، ولم يكتفِ بدراسة الأدب وحده، فقد عُني بالأدب، والتاريخ اليوناني، والروماني القديم، كما عُني بالفلسفة، وعلم الاجتماع، وكلّ ذلك كان نتيجة تنوّع مشاربه في مرحلة امتدّت منذ دخوله الأزهر الشريف إلى غاية تخرّجه من جامعة السُوربون، وعودته إلى مصر ممتلئ النفس بالمعرفة.

ثانيا- طه حسين وتجديد منهج البحث:

تتجلّى ثنائية الزّمن (القديم والجديد)، في الأدب عند كثير من المؤرّخين والباحثين والنقاد في تاريخ الأدب العربي، متتبّعين ما أفرزته هذه الثنائية من تطوّر وتحوّل و«هذان التيّاران المتحاذيان أحيانا المتعاكسان أحيانا، قسّما الناس في مصر إلى أقسام، ووجهات مختلفة وطبائع متباينة، فمنهم المُغالي ومنهم المعتدل، ومنهم من لم يلتفت إلى التيّار الآخر أيّ التفات، ومنهم من اغترف منه غرفة بيده، فنشأ من ذلك

[1] إبراهيم الأبياري وآخرون، طه حسين (كما يعرفه كتاب عصره)، ص09.

[2] سامي الكيالي، مع طه حسين، ص 26- 27.

الاختلاف في الأفكار والآراء وتنازع في مناهج البحث وطرق التّفكير»[1]، و"طه حسين" كان على رأس أولئك النقّاد الّذين أحدثوا ثورة في مناهج الدّراسة مع الرّبع الأوّل من القرن العشرين، وهذه الثورة «التي رفع فيها راية الجديد ضدّ القدماء، بدءًا بكتابه" في الأدب الجاهلي" الّذي أراد أن ينشر به منهجًا عقليًا في قراءة التاريخ لا الإساءة إلى الدّين، وصولا إلى مستقبل الثقافة في مصر، الّذي طالب فيه بمحاكاة الحضارة الأوروبية الحديثة، ودافع عن اللّغة والأدب العربي دفاعًا مجيدًا»[2]، فقد جاءت دعوة "طه حسين" واضحة وصريحة نحو تبنّي منهج جديد ينحو فيه الدّارس العربي منحى المحدثين في دراستهم للأدب، ويسبر أغواره بعيدًا عمّا عهدته الدّراسات القديمة ذات المناهج العتيقة، وبعيدًا عمّا تمسّك به القدماء في «حرصهم القوي على اللّغة، والنّحو، والصّرف، والعروض، والقافية، وإنّما عليهم دراسة الأدب كما يدرسه المحدثون، وذلك لا يتحقّق إلاّ من خلال فهم الصّلة بين الأدب والشعب، وبين الأدب ومختلف مظاهر الحياة، كما يتطلّب عناية قوية في الصلة بين آداب الشعوب، وما نتج عنها من مظاهر تأثير وتأثّر»[3]، فمن جهة يرى "طه حسين" أنّ الأدب انعكاس للحياة وللتّجربة الإنسانية، ومن جهة أخرى يرى بضرورة مراعاة الصلات بين آداب الشعوب المختلفة، وما يترتّب عن تلك الصلات من علامات تأثير وتأثّر، وهنا تتجلّى نزعة المقارنة بين الآداب واضحة في فكره في مرحلة مبكّرة نتيجة فهمه للدّراسات والمناهج الغربية الحديثة، وبالإضافة إلى ما أشار إليه من شروط لدراسة الأدب دراسة صحيحة نجده يركّز ويهتمّ باللّغات الأخرى، إذ نادى بضرورة« الاهتمام باللّغات وإتقانها كاللغات السامية واليونانية واللغات الأوروبية الحديثة، فدراسة الأدب لا يمكنها أن تتحقّق دون الاعتماد على هذا كلّه، ومن زعم غير ذلك فهو إمّا واهم أو مشعوذ»[4].

[1] أحمد أمين، فيض الخاطر(الجزء العشر)، مؤسّسة الهنداوي، المملكة المتّحدة، 2011م، دط، ص353.

[2] فيصل دراج، طه حسين(وتحديث الفكر العربي)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2011م، ط1، ص 8.

[3] طه حسين، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق محمد بن عبد الرحمن محمد، القاهرة، مصر، 1933م، ط3، ص12.

[4] المصدر نفسه، ص ن.

ومن خلال ما سبق يتّضح لنا رفض "طه حسين" للدّراسات النقدية العربية القديمة، والتي حسب رأيه قتلت روح الإبداع الأدبي ولم تفضِ إلى نتائج ترضي الأدب والأديب على حدّ سواء، فتوجّه إلى نوع جديد من الدّراسات النقدية، والتي تعتبر المقارنة بين الآداب أحد أسسها المهمّة، كما نادى"طه حسين" بحرية الأدب والأديب، ففي نظره « الحرية هي قوام الحياة الأدبية الخصبة، فإذا ذهبت أجدب الأدب وعَقُم التفكير مافي ذلك شك... فأخصّ ما يمتاز به الأدب أنّه حرّ بطبعه لا يقبل لحريّته قيدًا، ولو كان من الذهب الخالص المرصّع بالجوهر الكريم»[1].

فحرية الأدب عنده أمر لا بدّ منه، بل لا بدّ للأدب والحرية أن يترادفا ويتلازمَا، فلن تستقيم الكتابة للأديب ولا القراءة للقارئ، إلاّ حين يتحرّر من تعصّبه للأفكار والأشخاص والنزعات، والإيديولوجيات التي تحدّ فكره، وتقيّد قدراته، فعند"طه حسين" «الفن حرية لا رِق... وإذا أردت من الشباب أن يتذوّقوا الفن ويسيغوه، ويحاولوه، ويبتكروه، فاجعلهم أحرارًا، لأنّ الفن أثر من آثار الأحرار لا من آثار العبيد»[2].

وقد عبّر "طه حسين" عن تلك الحرية من خلال طرحه الذي نادى فيه بضرورة الفصل بين الدّين والعلم، فللعلم مجاله كما للدّين أيضًا مجاله، وكلاهما لا يتعارضان، ومن هنا جاء رفضه في « اختصار العلوم جميعًا إلى علم الدّين، فأكّد أنّ لا خصومة بين العلم والدّين، ولا مصالحة بين العلم والدّين أيضا فلكلّ منهما حيّزه، وماهيته، ولكلّ منهما مواضيعه، والوسائل التي تبرهن بها عن صحّتها»[3]، فهذا الطرح الجديد الذي قدّمه "طه حسين" للفكر العربي نقلًا عمّا تعلّمه عن أساتذته الغربيين، والّذي يقوم على العقل أساسًا، ويحتكم إلى التّجريب ويرفض الأخذ بالمسلّمات والثوابت، وهو ما أثار حفيظة رجال الدّين والسياسيين وأنصار القديم، غير أنّ "طه حسين" لم يلتفت إلى ذلك الغضب الثائر المشتعل حول طرحه وآرائه، لأنّه كان يعي أنّ هدم العقلية المحافظة، ومحاولة بناء عقلية جديدة، ستثير كلّ ذلك الغضب

[1] طه حسين، خصام ونقد، مؤسسة هنداوي، المملكة المتّحدة، 2014م، دط، ص9.
[2] طه حسين، نفوس للبيع، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، دط، ص111.
[3] فيصل دراج، طه حسين(وتحديث الفكر العربي)، ص11.

والسخط، وذلك هو« شأن الجديد دائما، يثير حوله أعاصير من خلاف الرّأي، ومن التعصّب للشيء والتعصّب عليه»[1]، وذهب "طه حسين" في رؤيته إلى نقد المسلّمات، وهدم فكرة الأخذ والتمسّك بها إلى أبعد من ذلك، وذلك حينما رأى بضرورة فصل التاريخ الأدبي الإسلامي عن الدّين والتعامل معه بعقلانية وعلمية بعيدًا عن صبغة القداسة التي ألبسه إيّاها أنصار المدرسة القديمة، وذلك حين نادى هو وأنصاره بفكرة « نقد التاريخ، والكشف عن أخطائه، وإزالة طابع القداسة عنه»[2]، فروّاد هذا المذهب بزعامة"طه حسين" يرفضون قداسة التاريخ الأدبي، لأنّ تلك القداسة تفضي بالدّرس الأدبي إلى حارات ضيّقة، وبالناقد الأدبي إلى السطحية، واللّاموضوعية، فهم يرون « أنّ الاتّجاه القومي في كتابة التاريخ خطأ، أو أنّه دعوة إقليمية وفيه تمجيد للماضي وخضوع له، لأنّه يريد إحياء الأمجاد، وأنّه يرى الماضي القومي لَبَّ التاريخ، وبذلك يتأرجح أسلوبه بين النقد والتّصديق»[3]، وعقب تلك الصّرخة المدوية التي هزّ بها "طه حسين" أركان المدرسة القديمة ومناهجها، تمثّل منهجًا نقديًا جديدًا في دراسته للأدب، سميّ بالمنهج التاريخي أو الاتّجاه التاريخي وهو« منهج نقدي غربي أسّس له الناقد الفرنسي"تين"، ويقوم على ثلاثة عناصر(الجنس، البيئة، العصر) وقد حضر هذا التيّار الغربي غير مكتمل التّشكيل للفكر العربي، ثمّ تطوّر كاتّجاه بفضل اجتهاد النقّاد العرب في فهم المنهج التاريخي الأوروبي، ويعدّ "طه حسين" من أوائل الّذين وظّفوه في حديث الأربعاء، وتجديد ذكرى أبي العلاء»[4]، ثمّ توالت دراساته بعد "ذكرى أبي العلاء" بدراسات أخرى، أكثر تعمّقا وفهمًا للمنهج التاريخي، ممّا عكس رؤيته النقدية الفاحصة، وقراءته المتأنية للأدب التي جاءت في صورة جمعت بين الأزهر الشريف والسُوربون.

[1] عبد العزيز شرف، طه حسين وزوال المجتمع التّقليدي، ص6.

[2] أنور الجندي، معالم الفكر العربي المعاصر، مطبعة الرسالة، مصر، دت، دط، ص198.

[3] المرجع نفسه، ص197.

[4] بوعلام إقلولي، المثاقفة، والمنهج في النقد العربي الحديث، مجلّة الممارسات اللّغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو الجزائر، ع32، 2015م، ص 141- 142.

ولعلّ أشهر دراسة لطه حسين، هي التي تناول فيها الشعر العربي الجاهلي، وطبّق عليها المنهج العقلي الديكارتي، وذلك في كتابه الشهير«الشعر الجاهلي، وهو الكتاب الذي أحدث ضجّة حجب على إثرها مدّة ثمّ صدر ثانية بعنوان" في الأدب الجاهلي"»[1].

واستنتاجًا لما عرضناه حول تجديد منهج البحث عند"طه حسين" يمكننا القول إنّ ثورته لم تكن على القديم، وإنّما على منهج القدماء وطريقتهم في دراسة الأدب العربي بمعزل عن آداب الأمم الأخرى، بحجّة صفاء منبعه، وحمايته، والمحافظة عليه، وفي ذلك مجانبة للصواب« فأدبنا العربي لم ينشأ في برج عاجي وإنّما قد تأثّر بالآداب المختلفة، وأثّر فيها»[2].

كما أنّ "طه حسين" لم يتنكّر للمنهج القديم، ويلغي وجوده تمامًا، بل دعا إلى المزاوجة بين المنهجين المنهج العربي القديم، والمنهج الغربي الحديث، وذلك حين قال:« ولستُ أزعم أنّا لسنا في حاجة إلى درس الآداب على المنهج القديم، بل أقول إنّا في حاجة إلى المنهجين معًا، في حاجة إلى المنهج القديم لنقوّي في أنفسنا ملكة الإنشاء وفهم الآثار العربية التليدة، وفي حاجة إلى المنهج الحديث لنُحسِن استنباط التاريخ الأدبي من هذه الآثار»[3]، وبذلك يكون "طه حسين" قد كشف للدّراسات العربية منهجًا حديثًا، وطريقة تحليل جديدة لمختلف الظواهر الأدبية، كما مهّد الطريق بدعوته إلى الحرية المطلقة لأن تشيع في الدّراسات الأدبية، ودعا الأدباء إلى التحرّر من قيود التّفكير التقليدية، وتجاوز المحافظين المتعصّبين الرّافضين لكلّ جديد.

[1] أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث(أصوله واتّجاهاته)، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، 1972م، دط، ص 88-89.

[2] طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص 13.

[3] طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، ص12.

ثالثا- أطروحة طه حسين في قراءته للتراث الأدبي العربي:

على الرّغم من الحياة الفكرية الباذخة التي عاشها "طه حسين"، وتقلّب في بديع ألوانها بداية بالحياة الأزهرية التي لم تُرضِ تطلّعاته المعرفية، ولم تقدّم لعقله القلق المتسائل الإجابات المقنعة، إلى حياته الفكرية الثرية بالسُوربون التي أثّرت في إنتاجه الأدبي، ومنهجه النقدي ، حيث « عانى وذاق من الدّراسة التقليدية الضيّقة في الكتاب، وصحن الأزهر، وتلّمس الجو الغير عقلي في القرية بأعلى الصعيد، وفي أزقّة القاهرة، ثمّ تقلّبت حياته، فتذوّق ما يسمّى بالمنهج الفكري، وتذوّق رفاهية الذوق المصقول بالسوربون»[1]، فمع كلّ هذه المصادر الفكرية والأدبية المتنوّعة والمختلفة، واهتماماته المتشبّعة، واطّلاعه الغزير على آداب وثقافات الأمم الأخرى، إلاّ أنّ« ميدان الأدب العربي القديم، ودراسته ظلّت هي أقرب الميادين لنفس طه حسين»[2] فقد أعطى اهتمامًا وأولوية في دراسته للأدب العربي القديم على غرار الآداب الأخرى، إذ لم تمنعه ثقافته الحديثة من الالتفات للتراث الأدبي العربي، فالماضي بالنسبة إليه « قوّة تحليق واندفاع، ومنبعًا تستمدّ منه اللّغة، ويستمدّ منه الإبداع عصارة الديمومة، وهذا هو سر حيوية الجديد عند طه حسين، لأنّه كان جزءً من طبيعته الخلاقة»[3]، ولا شكّ في أنّ اهتمام "طه حسين"، بالتراث الأدبي العربي القديم هو مجاراة للغرب في اهتمامهم، وعودتهم للتراث اليوناني القديم، ومحاولة بعثه من جديد للنهوض بأدبهم، فانتهاجه المنهج العقلي، ومحاولة تطبيقه على الأدب القديم خصوصًا الشعر الجاهلي منه « لم يكن هدف هذا الناقد هدم الشعر الجاهلي أو قتله، وإنّما كان هدفه إنقاذ هذا الشعر والتحقّق ممّا فيه من صدق، فهو لم يقصد إحداث خلخلة في نظام الأشياء بقدر ما قصد إلى تنبيه الجهاز العصبي للدّارسين والباحثين، وإخراجهم من تحت رماد التخلّف وخرائبه»[4]، وقد قادته دراسته للشعر الجاهلي في أن ينطلق من الشكّ العلمي المنهجي

[1] إبراهيم الأبياري وآخرون، طه حسين (كما يعرفه كتاب عصره)، ص138.

[2] فؤاد دوارة، عشرة أدباء يتحدثون، ص20.

[3] محمد زكي العشماوي، أعلام الأدب العربي الحديث(اتّجاهاتهم الفنية)، ص408.

[4] المرجع نفسه، ص 414.

بحثا عن اليقين، ومحاولة منه في بثّ الروح العلمية في نفوس الباحثين والدّارسين، وإنّ بحثنا عن أوّل بذور ذلك الاهتمام بالتراث الأدبي القديم عند "طه حسين"، فقد جاء متمثلا في موضوع رسالة تخرّجه من الجامعة المصرية، والتي حملت عنوان" تجديد ذكرى أبي العلاء"، ويروي "طه حسين" تفاصيل اختياره لهذه الشخصية التراثية، وقد ذكر ذلك في مقدّمة رسالته، وذلك حين « تردُّدِه في اختيار موضوع بحثه، وأي من تلك المواضيع المقترحة يمكنها أن تلائم ذوقه، وتشفي غليله، فاستقرّ أمره في نهاية المطاف على دراسة حياة "أبي العلاء المعرّي"، هذا الشاعر الذي كرّهته فيه المناهج القديمة، وحبّبته إليه المناهج الجديدة، فعزم على فهم فلسفته، ومحاولة ردّها إلى مصادرها، ثمّ فهم الروح الأدبية لهذا الشاعر والأديب والفيلسوف»[1].

ولم تكن المناهج الغربية الحديثة وحدها من حبّبت إلى "طه حسين" دراسته شخصية أبي العلاء وشعره، وإنّما هناك أسباب أخرى جعلته يولي هذه الدّراسة اهتمامًا، فذكر منها «عناية الفرنجة بحياة الرجل وشعره، فترجموا لُزُوميَاته إلى الألمانية، ورسالة الغفران وغيرها من رسائله إلى الإنجليزية، والفرنسية كما اهتمّوا بفلسفته ونبوغه»[2]، فاهتمام "طه حسين" بهذه الشخصية التراثية، وبواحد من فطاحلة الشعر العربي القديم لم يكن محاولة تقليد لأولئك الدّارسين الغربيين، أو السّير على نهجهم، وإنّما غيرة في نفس الرجل حملته على الالتفات والعناية بهذا الشاعر، ودراسة شعره وفلسفته، والتّعريف بحياته عند أبناء جلدته، وذلك يعكس بوضوح احتفاءه بالتراث العربي ورموزه، وذلك ما يحتسب لطه حسين، ويعدّ «من أهمّ حسناته، وأفضاله على الحياة الأدبية العربية، أنّه لم يسكت يومًا عن الدّعوة إلى الاهتمام بالأدب العربي القديم، حين تسابق غيره نحو الأدب الأوروبي، وتحمّس له ونبذ القديم من تراثه وأدبه»[3]، وقد كانت لأبي العلاء مكانة خاصّة في قلب وفكر"طه حسين" حتى كادت أن تصبح عنايته لهذا الشاعر واجبًا، فولعه الواضح والكبير به جعله يخصّص له حيّزا كبيرًا من دراساته، فنجده يشير في كتابه "صوت أبي العلاء"إلى

[1] طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، ص 13- 14.

[2] المصدر نفسه، ص 13.

[3] محمد زكي العشماوي، أعلام الأدب العربي الحديث(اتّجاهاتهم الفنية)، ص414.

ذلك الاعتناء الّذي خصّه به في دراساته، فيقول: « لقد كتبت عن أبي العلاء ما أذن الله لي أن أكتب، وأظنّ أنّي قد عرّفته بعض التعريف إلى هذا الجيل الحديث، ولكنّي لم أؤدّ إليه من ذلك إلاّ بعض حقّه، ومازالت له عليّ حقوق كثيرة، أرجو أن يعينني الله على تأديتها، فقد عرّفت أبا العلاء عند خاصّة الناس، وأحب أن أعرّفه إلى عامّتهم»[1]، ولم يتوقّف اهتمام"طه حسين" بالشعر والشعراء العرب عند المعرّي فقط، بل راح يتوغّل في عمق تراثنا الشّعري العربي بأسلوب جديد مكّنه من الوصول إلى خبايا الشعر العربي القديم والتي من بينها فهم الحياة الاجتماعية للشّعراء وعصورهم، وبيئاتهم، وذلك في كتابه" في الأدب الجاهلي" هذه الدّراسة التي استطاع "طه حسين" من خلالها «أن يزوّدنا بالقديم وينقذه، ويصفّيه على نار هادئة من النقد العلمي الحديث، فإذا به يقدّم المعرّي، والمتنبي، وبشار، والشعراء القدامى والمحدثين، في أسلوب شفاف بسيط، يتضمّن التّحليل والتّقليب والتجريح، والهضم، فاستطاع بذلك أن يكسب الشعر والأدب العربي مكانته في نفوس القرّاء الشغوفين والمعجبين»[2]، فما بذله "طه حسين" من جهود كبيرة كان لأجل إحياء القديم وإثرائه من جهة، ولتمكين القارئ العربي من تذوّق أدبه، وتغيير الحكم عليه، وإصلاح الموقف اتّجاهه من جهة أخرى، وذلك ما دفعه بقوّة للثورة الفكرية التي أحدثها «وندّد فيها بكلماته الغاضبة بالقراءة الزائفة التي تحتفل بالكتاب القديم، وتضع العقل جانبًا، وطالب بقراءة فاعلة تنقد وتقارن وتتقصّى»[3]، فلا سبيل لفهم الأدب إلاّ من خلال إخضاعه لمنهج عقلي يتفحّص، ويقارن ويحلّل، ويعلّل، بدل إحالة ذلك العقل إلى تكرار واجترار الموروث من الأقوال والروايات، ودفعه نحو الخمول واليقين بالمسلّمات، وذلك ما جعل "طه حسين" يرى بأنّ شعراءنا «لا يزالون مجهولين، وكتّابنا لا يزالون مجهولين، وأدبنا كلّه لا يزال مجهولًا، لأنّ الذين يتكلفون تعليمه ونشره يجهلونه، وهم يجهلونه لأنّهم لا يقرؤونه، وإن قرأوه فلا يفهمونه على وجهه الصحيح»[4]، فمن هنا انطلقت نهضته الأدبية، ومشروعه النقدي الذي أشعل عليه حربًا أضرم

[1] طه حسين، صوت أبي العلاء، مطبعة المعارف، مصر، دت، دط، ص 08 -09.

[2] إبراهيم الأبياري وآخرون، طه حسين (كما يعرفه كتاب عصره)، ص150- 151.

[3] فيصل دراج، طه حسين(وتحديث الفكر العربي)، ص 15.

[4] المرجع نفسه، ص 14- 15.

نارها الأزهَريُونَ وأنصار القديم، إلاّ أنّ "طه حسين" ظلّ متمسّكًا برأيه، مصرّا على ثورته التي تهدف إلى إحياء الأدب العربي القديم، ونهضه وانتشال العقل العربي من الرجعية والتخلّف.

وفي ختام هذا الفصل، يظهر لنا من خلال ماسبق عرضه أنّ الثقافة العربية بدراساتها القديمة والحديثة، قد قدّمت بوفرة وتنوّع أبحاثًا وطروحات مهّدت الطريق وهيّأت الأرضية لاستقبال الأدب المقارن الوافد من أوربا بمصطلحاته ومنهجه إلى البيئة والفكر العربي، بالإضافة إلى ما استنتجناه من فكر ووعي حداثي ونهضوي عند"طه حسين" في تجديده لمناهج الدّراسة الأدبية من خلال دعوته إلى المزاوجة بين العقل والحرية، ودفاعه عن ذاتية الباحث العلمي، وحقّه في الاجتهاد محاولًا في ذلك انتشال العقل العربي من براثن الجهل والتخلّف، فقدّم بذلك خدمة جليلة للنقد والأدب العربي.

الفصل الثاني:

الدّراسة الأدبية المقارنة عند طه حسين وتقييمها في كتب مؤرّخي الأدب المقارن العربي.

- **المبحث الأوّل: نزعة المقارنة وتجلّياتها عند طه حسين.**
- **المبحث الثاني: مقارنات طه حسين الأدبية في كتب مؤرّخي الأدب المقارن العربي.**
- **المبحث الثالث: مقاربة بين جهدي طه حسين وعباس محمود العقاد(دراسة تحليليّة).**

تمهيد:

تجلّت المقارنة الأدبية في أدبنا العربي منذ القديم، وأخذ الاهتمام بها يزيد يومًا بعد يوم، وذلك لحاجة الأدب لتلك المقارنات التي تعكس عمقه وجوهره، فتمثّل الأدباء والنقّاد العرب تلك النّزعة التي تقوم على أساس المقارنة؛ محاولين في ذلك فهم أدبهم من خلال صلاتِه بالآداب الأخرى، وكذلك كان "طه حسين" ينزع في دراساته الأدبية، ونقده الأدبي إلى فعل المقارنة، والمماثلة، والمقايسة، وسنحاول في مباحث هذا الفصل الوقوف عند تلك النزعة، وتجلّياتها في نقده ودراساته، وكيف تناولها مؤرّخو الأدب المقارن في العالم العربي مع تقييمهم لتلك الجهود التي قدّمها طه حسين في ميدان الدّراسات المقارنة العربية.

المبحث الأوّل:

نزعة المقارنة وتجلّياتها عند طه حسين.

- أوّلا- المقارنة الأدبية وتجلّياتها عند طه حسين.
- ثانيا- طه حسين و أثره في فنّ التّرجمة.
- ثالثا- المنهج التّاريخي المقارن عند طه حسين.

أوّلا- المقارنة الأدبيّة وتجلّياتها عند طه حسين:

يمثّل طه حسين بثقافته الموسوعية معلمًا من معالم النّهضة العربية الحديثة فهو «ناقد ودارس أدب، وأستاذ جامعي ، وأديب منشئ ومترجم ومؤرّخ، ومفكّر اجتماعي وتربوي»[1] ، وهذا التشعّب المعرفي عند طه حسين كان وليد نفس ترفض الاستقرار على حال واحدة، ولا ترضى بالانغلاق والتّقوقع حول نفسها. فطه حسين «لم يكن ليستريح قط لدراسة أدبية، أولغوية مقفلة على نفسها تتبع وتصبّ في نفس البئر ولعلّ رسالته " ذكرى أبي العلاء" التي أجيز عليها بدرجة الدكتوراه 1915م با لجامعة المصرية كانت خير مثال على ذلك، فهي أوّل دراسة في تاريخ الأدب العربي تستخدم الدّراسات الاجتماعية والنفسيّة استخداما واعيا لإضاءة الظواهر الأدبية»[2]، فكلّ هذا الزّخم المعرفي في شتّى ميادين الفكر، والحياة، والأدب كان مردّه لثقافته العربية والغربية المزدوجة التي مكّنته من الاطّلاع على آداب وثقافات الأمم الأخرى، ودراستها دراسة معمّقة، فطه حسين لم يعن بدراسة الأدب وحده، ذلك أنّه «لم يكتفِ بالثقافة الأدبية وحسب، بل عني بالفلسفة والاجتماع، والتاريخ اليوناني والروماني، والأدب اليوناني على وجه الخصوص»[3]

وإن أردنا البحث عن الفِترة التي ساورت فيها فكرة الموازنة، والمقارنة بين الآداب عقل وفكر "طه حسين" فيمكن مردّها إلى فترة تكوينه بالجامعة المصرية واتّصاله بأساتذته المستشرقين خاصّة "كارلو نلينو-Nallino, Carlo " الذي أثّر في شخصيته المعرفية، والعلميّة تأثيرا بالغا، فمن خلاله ترسّخت عند "طه حسين"«فكرة الموازنة بين الأدب العربي، والآداب القديمة الكبرى»[4]، فالمحاضرات التي كان يلقيها "نلينو" وغيره من الأساتذة المستشرقين على مسامع الطّلبة بالجامعة المصريّة جعلت "طه حسين" يقارن، ومن ثمّ يدرك مدى الاختلاف بين المنهجين العربي،والغربي، فأساتذته الغربيّون كانوا «يدرّسون التاريخ الأدبي

[1]عبد السّلام الشاذلي، الأسس النّظرية في (مناهج البحث الأدبي الحديث)، دار الحداثة للطّباعة، والنّشر والتّوزيع، بيروت لبنان، 1989م، ط1، ص307.

[2]شكري محمد عيادة، تجارب في الأدب والنّقد، أصدقاء الكتاب للنّشر والتّوزيع، مصر، 1994م، ط2، ص ص35- 36.

[3]عبد السّلام الشّاذلي، المرجع السّابق، ص207.

[4]كارلو نلينو، تاريخ الآداب العربية (من الجاهليّة حتى عصر بني أميّة)، ص12.

بمناهجهم الغربيّة الحديثة فيعلّمون الطلّاب كيف يبحثون، ويقارنون، ويستنبطون»[1]. وبعد بعثته إلى الخارج وتعمّقه في فكرهم واستيعابه لمناهجهم، لازمته فكرة الموازنة والمقارنة، حيث فهم طبيعة الأدب وحاجته لتلك المقارنات، وبعد عودته أكّد أنّ «الأدب بطبيعته شديد الحاجة إلى المقارنات، والموازنات»[2] ولعلّ الغاية الأولى من بعثة"طه حسين" الى فرنسا قد ارتكزت «بقصد منه أو من الجامعة التي أوفدته على دراسة المجتمعات القديمة فدرس اليونانية، واللّاتينية، والتّاريخ اليوناني والروماني»[3] ، وبعد تخرجه من جامعة السوربون، وعودته إلى مصر، محمّلا بلغات وثقافات مختلفة، عيّن مباشرة «بالجامعة المصرية أستاذا للتّاريخ القديم"اليوناني والرّوماني"، من عام 1919م إلى غاية1925م،ثمّ بعدها أصبح أستاذا لتاريخ الأدب العربي في كليّة الآداب»[4] وعلى هذا يمكن القول إنّ "طه حسين" في مقارناته انطلق من التراث عند العرب، وعند الغرب، فاطّلاعه الواسع على التراث العربي، ومن ثمّ التراث الغربي، وملامسته لذلك الاختلاف والتّباين بين التّراثين هو ما دفع به نحو تبنّي منهج المقارنة في دراساته، وهو كذلك ما جعله يعيب المناهج العربية، والدّارس العربيّ في دراسته للأدب، فاكتفاء دارسي الأدب العربي بالثّقافة العربية وحدها دون الاطّلاع على الثقافات والآداب الأخرى؛ مردّه في نظره إلى عجز وقصور في فهمهم وتكوينهم، فلك أن« تتصوّر أستاذا للأدب العربي لم يلمّ ولا ينتظر أن يلمّ بما انتهى إليه "الفرنج" من النتائج العلميّة المختلفة حين درسوا تاريخ الشّرق، وآدابه ولغاته المختلفة»[5]. فدعوته كانت بتجاوز دراسة الأدب الواحد وعدم الاكتفاء باللّغة الواحدة، وإنّما الانطلاق نحو توسيع حلقة الدّرس الأدبي، وهذا كلّه إن دلّ فإنّما يدلّ على اهتمام "طه حسين" بآداب الأمم الأخرى، ولغاتها.

[1] طه حسين، في الأدب الجاهلي، ص9.

[2] المصدر نفسه، ص20.

[3] إبراهيم الأبياري وآخرون، طه حسين كما يعرفه كتّاب عصره، ص107.

[4] المرجع نفسه، ص ن.

[5] طه حسين، المصدر السابق ،ص 18.

كما يهدف فهم الدّرس الأدبي العربي من جهة، والمقارنة بينه وبين الآداب المختلفة الأخرى من جهة ثانية، وذلك لمعرفة مواطن التّلاقي، والاختلاف بينهما، وعلامة التّأثير والتأثّر التي تركها كلّ منهما في الآخر وعليه فالسّبيل لدراسة الأدب العربي عند "طه حسين" لا يستقيم إلّا من خلال «دراسة اللّغة اليونانية واللّاتينية، وآدابهما لتبيّن مقدار ما كان لحضارة اليونان والرومان من تأثير في أدبنا، وفلسفتنا، وعلمنا ولنتبيّن كذلك مكانة أدبنا العربي بالقياس إلى هذه الآداب اليونانية واللاتينيّة»[1] ، وقد توجّه في دراسته للأدب العربي للبحث حول المؤثّرات التي أثّرت في الأدب العربي، وفي تشكّله من خلال مراحل حياته المختلفة حيث تجده «يؤكّد أنّ ما نلاحظه في حياة أدبنا العربي منذ أقدم عصوره أنّه يتألّف من عنصرين خطيرين أحدهما داخليّ يأتيه من نفسه، ومن طبيعة الأمّة التي أنتجته، والآخر خارجيّ يأتيه من الشعوب التي اتّصلت بالعرب، أو اتّصل العرب بها، ويأتيه من الظروف الكثيرة المختلفة التي أحاطت بحياة المسلمين وأثّرت فيها على مرّ العصور»[2]، ومانلاحظه من خلال حديثه عن المؤثّرات الدّاخلية والخارجية التي أسهمت في تكوين الأدب العربي، أنّها تدور في فلك فكرة التّأثير والتأثّر في صورتها العامّة، حيث يثبت أنّه قد كان للعرب اتّصال بالأمم والشعوب الأخرى منذ العصور القديمة، وهو ما أثّر في حياة الأدب العربي، فكان بمثابة العنصر الثاني الذي أسهم في تشكيله وتكوينه، وبالتالي تأثّر أدبنا العربي، كما أثّر كذلك في الآداب التي اتّصل بها واتّصلت به، ويؤكّد "طه حسين"«أنّ الأمّة العربية قد خضعت خضوعا تامّا، فبينما كان أحدهما يدفعها دفعا قويا إلى الأمام فتندفع، كان الآخر يجذبها جذبا قويا إلى الوراء فتنجذب»[3]، وعليه يمكن القول إنّه متى ما تأثّرت أمّة من الأمم بمجموعة من العوامل الخارجية، وحاولت أن تنساق معها، سواء كانت هذه العوامل سياسية، أو اجتماعية، أو ثقافية، أو أدبية، تدخّلت العوامل الدّاخلية لتلك الأمّة لتمنع ذلك الاندفاع،أو تخفّف من قوّته، وكذلك كان الحال بالنسبة للأمّة العربية، والأدب العربي. فالتّاريخ الأدبي العربي ينحو مرّة

[1] طه حسين، في الأدب الجاهلي ، ص19.

[2] جابر عصفور، المرايا المتجاورة(دراسة في نقد طه حسين)، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، مصر، 2014م، ط4، ص243.

[3] المرجع نفسه، ص ن.

نحو الثبات والاستقرار، والاكتفاء بعنصره الدّاخلي، ومرّة أخرى يتّجه نحوالعنصر الخارجي الذي يرتبط أساسا بالتطوّر. وذلك ما جعل «الأدب في بعض العصور مسرعا إلى التطوّر ممعنًا فيه، وفي بعضها الآخر مؤْثِرا للثّبات حريصا عليه»[1].

فطه حسين؛ ومن خلال طرحه هذا يحاول أن يبيّن علاقة الآداب واتّصالها بعضها ببعض، ومدى درجة التّأثير والتأثّر التي تخضع لها أثناء اتّصالها بآداب مختلفة أخرى.

كما «يؤكّد على أنّ التّاريخ الأدبي يعتمد في تحديده على المؤثّرات الكبيرة التي تُحدث تطوّرا في الأدب فتخرجه من وضع إلى وضع آخر، وعلى التيّارات التي تدخله فتحرّره من بعض الصّفات، وتلحق به صفات أخرى؛ سواء كان ذلك عند الشعراء، أو الكتّاب والخطباء»[2]، والمؤثّرات الكبرى هي كلّ ما تعلّق بالمؤثّرات الخارجية التي تساعد في تطوّر الأدب، وإخراجه من وضعه المألوف إلى وضع آخر جديد ومختلف، ومتطوّر فتحمل إليه صفات جديدة، وتنزع عنه أخرى سواء تعلّق الأمر بفنّ الشّعر والنّثر. وينزع "طه حسين" نحو فكرة الأدب العالمي الذي يتجاوز الحدود القومية، نحو قوميّات وجغرافيّات أخرى، وهي من الأسس التي قام عليها الأدب المقارن حين يتحدّث عن الأدب باعتباره ظاهرة انسانية، و مصدر صلة بين الشّعوب والأمم يربط ماضيها بحاضرها، وحاضرها بمستقبلها مهما اختلفت عصوره وبيئاته. ففي نظره أنّ الأدب الذي يحمل هذه الصّفات إنّما هو «متاع للإنسانية كلّها، فلو أنّك نظرت في آداب القدماء، والمحدثين لرأيت منها طائفة لايمكن أن توصف بأنّها آداب عصر من العصور، أو بيئة من البيئات، أوجيل من الأجيال، وإنّما هي آداب العصور والبيئات كلّها»[3]

[1] جابر عصفور، المرجع السّابق، ص243.
[2] المرجع نفسه، ص ن.
[3] المرجع نفسه، ص264.

والأدب حسب "طه حسين"، لا يمكن حصره في بيئة معنيّة،أوعصر واحد لأمّة واحدة، وإنّما هو أدب كلّ الأمم، ومختلف الشّعوب إذ«ليس ضروريا أن تكون رومانيا، أو يونانيا، أو فرنسيا، أو إنجليزيا، أو ألمانيا لتجد اللّذة الأدبية عند "هوميروس" أو"سفوكليس"أو"فرجيل"أو"هوجو" أو"غوته"، وإنّما يكفي أن يكون لك حظّ من ثقافة، وفهم، وذوق لتقرأ و تلذّ، وتستمتع»[1]، كما يسعى"طه حسين" من خلال طرحه إلى البحث حول العلاقة التي ربطت الشرق بالغرب بداعٍ حضاري، فتوجّهه نحو«دراسة الثقافة اليونانية والدّراسة الاجتماعية لتلك الأمم، لم تقتصر على العوامل المتّصلة بالإنتاج الفكري وحسب، بل كانت في الوقت نفسه عوامل حضارية عامّة معبّرة عن روح العصر»[2]، ولعلّ"طه حسين" يشترك في مقارناته مع من سبقوه في هذا الحقل في الهدف النهضوي والدّافع الحضاري، إلاّ أنّه يتميّز عنهم في عمق الدّراسة النقديّة والتّاريخ الأدبي حيث أنّ مقارناته الأدبية «ترتكز على جملة من المعطيات المعرفيّة، لعلّ أهمّها هو سيره على منوال من سبقوه، كرفاعة الطّهطاوي، الذي أجرى مجموعة من المقارنات الماديّة بعيدة عن الفن والخطاب الأدبي البعد كلّه، أمّا عند "طه حسين" فقد برزت تلك المقارنات في مجال الإبداع الأدبي وتاريخ الأدب والنّقد»[3] ولأنّ الأدب يعتبر مرآة عاكسة لحياة الأمم والشّعوب، كما أنّه يساعد على تطوّر الحضارات و نهضتها من خلال الأثر الذي تتركه أمّة في أمّة أخرى عن طريق آدابها، وثقافتها، ومعارفها، فينمّي عندها روح التقدّم ويدفعها نحو التطوّر، ولقد حاولت الحضارة العربية السّير على خطى اليونان، والرومان في نهضتهم الفكرية، محاولة التعرّف على تلك النّهضة، وفهمها، ومجاراتها، وفي ذلك يقف "طه حسين" على أهمية الأثر اليوناني والروماني، حين أشار إلى «محاولة مصر في التعرّف على أصول تلك النّهضة، وفهمها لتختار منها ما يوافق طبيعتها ويلائم مزاجها، وليس من سبيل في ذلك إلّا من خلال درس تاريخ اليونان والرومان، لأنّ أي

[1] جابر عصفور، المرجع السّابق، ص 264.

[2] شكري محمد عياد، تجارب في الأدب والنّقد، ص36.

[3] رشيد بلعيفة، أصول المنهج النّقدي عند طه حسين(نقد التراث الشعري أنموذجا)، حوليات الآداب واللّغات، كليّة الآداب واللّغات، جامعة المسيلة، الجزائر، ع5، 2015م، ص 97- 98.

محاولة بحث في أصول النّهضة الحديثة الأوروبية ستحيلك لا محالة إلى هاتين الأمتين»[1]، فإقبال طه حسين على الفكر اليوناني واستيعابه، و دراسته دراسة جادّة مكّنته من الإحاطة بهذا الفكر من مختلف الجوانب فطه حسين «لم يذهب إلى الفكر اليوناني أديبا فحسب، ولكنّه ذهب إليه أديبا يغلب عليه طابع الفكر فعقب عودته ألّف ثلاثة كتب في الفكر اليوناني مقسّمة على ميادين ثلاثة: الأدب، والسياسة، وتاريخ الحضارة»[2]، ولعلّ ذلك ما جعل "طه حسين" يركّز في دراسته على المقارنة الأدبيّة خصوصا، وأنّه ضليع بالأدب العربي القديم، والأدب الروماني واليوناني القديم، وبالعودة إلى العصور السالفة للأدب العربي القديم فهو الآخر أثرّ في الآداب الأخرى وربما كان شديد الأثر كذلك، وذلك نظرًا «لطبيعته الخصبة والغنيّة فبمجرّد تجاوزه البادية تحولت تلك الطبيعة الخصبة التي كانت منكمشةإلى جذوة من النار لم تلبث أن اشتعلت،فشملت العالم القديم وصهرته، وحوّلته إلى طبيعة جديدة»[3]، فانفتاح الأدب العربي على المؤثّرات الخارجية، واغترافه منها بما يتناسب مع طبيعته ساعدهُ على التحوّل، وأكسبه قوّة مكّنته من الوقوف أمام الآداب العالمية الأخرى، وتسيّدها، وفي ذلك يضيف "طه حسين" في قوله « وانكمش الأدب اليوناني أمامه انكماشا عظيمًا، وتقلّص ظلّه في هذه البلاد وأنقرض، حتى انحصر في البلاد البزنطية، وما يجاورها في أوروبا وظلّ الأدب العربي مسيطرا على هذا العالم القديم الذي سيحر عليه الأدب اليوناني منذ الإسكندر إلى ظهور الإسلام»[4]، فما نلاحظه هو تتبّع "طه حسين" لمراحل التحوّل التي شهدها الأدب العربي القديم منذ عزلته إلى غاية مراحل انفتاحه على العوامل الخارجية، والأدب العربي الحديث لايختلف كثيرا عن الأدب العربي القديم، وإنّما هو امتداد له، فقد سعى إلى التطوّر من خلال اتّصاله بالآداب الحية الأخرى « ليغني شخصيته الخالدة، وأصوله القديمة، فيوازن بين قوّته التي تأتيه من نفسه، وهذه القوّة الطّارئة التي تأتيه من غيره»[5]

[1] جابر عصفور، المرايا المتجاورة(دراسة في نقد طه حسين)، ص 267- 268.

[2] شكري محمد عيادة، تجارب في الأدب والنّقد، ص 38.

[3] طه حسين، من حديث الشّعر والنثر، مؤسّسة الهنداوي للتّعليم والثّقافة، القاهرة، مصر، 2012م، دط، ص13-14.

[4] جابر عصفور، المرجع السّابق، ص272.

[5] المرجع نفسه، ص273.

ولا تقتصر دراسة "طه حسين" على انفتاح الأدب العربي القديم، والحديث على الآداب الأخرى وإنما يقف كذلك عند الأدباء المعاصرين، ويتتبّع آثارهم وسبيلهم في الاتّصال بالحضارة الغربية، وتأثرهم بآداب الغرب وإفادتهم لتلك الآداب واستفادتهم منها، حيث يلاحظ أنّ «كتّابنا وشعراؤنا قد أصبحوا ينشئون النثر ويقرضون الشعر، فلا يزور عنهم كثير من المثقّفين حقا في الشرق، ولا يرفق بهم أهل الغرب، وإنّما يحبهم أولئك فيخلصون لهم النقد والنصح والإرشاد، ويقدرهم هؤلاء فيدرّسونهم اعتبارًا للمسافة التي قطعوها في سبيل التّجديد، والاتّصال بالثقافة الغربية، والتّمكين لها في بلاد الشرق... فتضيف إلى ثروة الغرب كما يضيف الغرب إلى ثروتنا»[1].

وعليه يمكن القول أنّ نزعة المقارنة تجلّت بصورة واضحة في دراسة "طه حسين" الأدبية، وغالبا ما ظلّت ملازمة لها، فنزوعه نحو المقارنة كان يهدف بالدّرجة الأولى لتمثّل مختلف الآداب الإنسانية الخالدة بغيبة خلق جسور من المعرفة والتّواصل المعرفي الخلاّق.

[1] جابر عصفور، المرجع السّابق، ص 274.

ثانيا- طه حسين و أثره في فنّ التّرجمة:

تشكّل الترجمة منزلا علميا وفنيّا، وإجرائيا، يستقبل النصوص الغربية لغةً، وثقافةً، وحضارةً ، يسبر أغوارها، ويكشف كنوزها، وأفكارها المنعتقة فيها ، فقد كانت التّرجمة وما زالت ضرورة لا بدّ منها لخلق جسر التّواصل بين الأفراد، والشعوب والثقافات «باعتبارها جزء من المنظومة الثقافية، والحضارية للأمم والشعوب»[1]، والحديث عن التّرجمة باعتبارها أحد الحقول المعرفية التي ظلّت على امتداد التاريخ ملمحًا بارزا للعلاقات بين الآداب القومية المختلفة، وهمزة وصل أتاحت للشّعوب والأجناس التعرّف والكشف عن ثقافتها، والنّهل منها يجعلها تتداخل مع الأدب المقارن، وتتشارك معه مجموعة من الخصائص، ولعلّ ذلك ما دفع ببعض منظّري الأدب من إلحاقِ «دراسة الترجمة، ولاسيّما الأدبية منها بحقل الدّراسات المقارنة باعتبارها جانبا مهمًا من جوانب الدّرس المقارن»[2]، غير أنّ هذه النّظرة لم تستمرّ طويلا، بل شهدت تحوّلا في الآراء، وتحديثا لعلاقة الدّرس الأدبي المقارن بالدّراسات التّرجمية، حيث «كتبت صاحبة كتاب" الأدب المقارن - مدخل نقدي" عن هامشيّة تلك الافتراضات القديمة، وبروز فكرة أنّ دراسة التّرجمة يمكن أن تخفض مرتبتها إلى صنف ثانوي من الأدب المقارن، والمنظور الرّاهن يقلب ذلك التّقدير، ويقترح بدلا عنه أنّ الأدب المقارن يمكن أن يعدّ نوعا من حقل معرفي أوسع،هو دراسات الترجمة»[3]، والحديث عن طبيعة العلاقة بين الدّرس الأدبي المقارن والدّراسات الترجميّة يحتاج إلى وقت وشرح، وتفصيل، ولكن كان لا بدّ من الإشارة لطبيعة تلك العلاقة ولو على عجالة، لأنّ اهتمام كلّ من هذين الحقلين يصبّ في حركة الآداب من قومية إلى قومية أخرى، ومن ثقافة إلى ثقافة أخرى مختلفة عنها. وعليه سنحاول تتبّع أثر "طه حسين" في هذا الحقل المعرفي، واهتمامه بهذا الفن الأدبي. فمن المعروف أنّ"طه حسين" قد عُنِيّ بميادين معرفية

[1] أمبارو أورتادو ألبير، التّرجمة ونظريّاتها (مدخل إلى علم التّرجمة)، تر: علي إبراهيم المنوفي، المركز القومي للتّرجمة القاهرة، مصر، 2007م،ط1، ص 17.

[2] عبد النبي اصطيف، المدرسة الترجمية في الدّرس المقارن للأدب، مجلّة المترجم، جامعة دمشق، سوريا، ع25، مارس 2012م، ص169.

[3] المرجع نفسه، ص 169- 170.

مختلفة، وآداب أمم شتّى فقد كان الطريق أمامه «طريقا طويلا شاقًّا قاد هذا الشاب الأزهري إلى هضم أعظم الثقافات الكلاسيكيّة والأوروبية»[1]، فإيفاده في البعثة نحو فرنسا هي ما مكّنت لطه حسين ذلك الفتح المعرفي، في الإحاطة بآداب الأمم القديمة الأخرى من جهة، وتعلّم اللّغات، ودراستها من جهة أخرى فبعد ذهابه إلى باريس «اِلتحق بكليّة الآداب في جامعتها، وتابع دروس اللّغة الفرنسية كما شرع في دراسة اليونانية واللّاتينيّة»[2]، والمدّة التي قضاها "طه حسين" بفرنسا كانت كافية بالنسبة إليه في تكوينه تكوينا علميا رصينًا، كيف لا وهو الشاب الطموح المملوء بشغف المعرفة، فحتى بعد تخرّجه ونيله درجة الدّكتوراة من جامعة السوربون، بقيَّ عاكفأ على دراسة اللّغات وفهمها، حيث ظلّ «يقرأ الفرنسية واللّاتينية، ويتعمّق بدراسة أدبها إلى أن ملك ناصيتها، وعاد إلى وطنه ممتلئًا بالآمال»[3]، يصبو إلى نقل معارفه التي تلقّاها في الخارج، ويطمح إلى استقلال الفكر ووحدة الرّأي، فتوجّه "طه حسين" الفكري كان توجّها تنويريًا يهدف إلى نهضة أدبية عربية مماثلة لتلك النّهضة الغربية، التي انطلقت من العودة إلى تاريخ اليونان القديم، وفهمه ودراسته دراسة جادّة، ففي نظره«أنّ فهم التاريخ المصري خاصّة، والتاريخ الإسلامي عامّة موقوف على فهم التاريخ اليوناني، لما لهذه الحضارة من تأثير ظاهر في حضارة العالم كلّه، ومنه البلاد الإسلامية، إذلم يقتصر ذلك التّأثير على الحياة العقلية والأدبية بل تجاوزها للحياة السياسية كذلك»[4]، وعلى هذا الأساس انطلق "طه حسين" في ترجمته لمجموعة من الآداب اليونانية الخالدة، بغيةتحبيبها وتقريبها لذهن طلبته وقرّائه فما «لبث أن قدّم إلى قرّاء العربية نماذج مختارة من الشعر التمثيلي، ثمّ من الأدب التمثيلي عند اليونان، فنقل إليهم ألوانًا مختلفة من التراجيديا وألوانا من الكوميديا لإيسكوليس، وتيسوس، عدا محاضراته التاريخية الممتعة، وعدا الكتاب"نظام اللأثينيين" الذي ترجمه عن"أرسطاطاليس»[5]، هذا الكتاب الثّمين الذي يمثل

[1] عبد العزيز شرف، طه حسين(وزوال المجتمع التّقليدي)، ص10.

[2] المرجع نفسه، ص27.

[3] سامي الكيّالي، مع طه حسين، ص 44.

[4] المرجع نفسه، ص45.

[5] المرجع نفسه، ص 46.

نصّا من أعظم نصوص التاريخ اليوناني، حيث حرص"طه حسين" على ترجمته ترجمةً دقيقة محكمة كانت بمثابة الفتح الكبير للدّارسين من بعده. وبذلك فقد تمكّن "طه حسين" «من فتح باب الدّراسات اليونانية على مصراعيه، فولجه الكثيرون، وقدّم لنا تلامذته نماذج حيّة من هذا الأدب الرّفيع، وهذا ما أراده"طه حسين" حين وجّه تلامذته إلى دراسة هذا الشّعب، وإلى ضرورة تدريس اللّغة اللّاتينية واليونانية في المدارس الثانوية»[1]،فلولا دراسة "طه حسين" للّغات اللّاتينية، وفهمها لما استطاع نقل الثّقافة اليونانية، وترجمة التاريخ اليوناني للّغة العربية، وللقارئ العربي، حيث سبر أغوار الفكر اليوناني فتطرّق لمختلف جوانبة الأدبية والاجتماعية والسياسية، فما جاء به "طه حسين" كان عبارة عن«سياحة رائعة في مجال الفكر اليوناني...، إذلا شكّ في أنّها كانت ذات أثر كبير في تشكيل ما استطعنا أن نسمّيه أسلوبًا كلاسيكيًا في أدبنا الحديث بأسلوبه المتوازن، المتماسك، المشحون بالعاطفة، أسلوب لا يمكن أن يكون إلّا ثمرة اِلتقاء الثقافة اليونانية بالثقافة العربية في ذهن خلاّق»[2]،فجهوده في التّرجمة، والتّأليف في هذا الأدب جعلته من ضمن «اثنين من الأدباء المعاصرين العرب الّذين عرفا قيمة هذا الأدب" سليمان السبتاني"بترجمته إليادة هوميروس، و "طه حسين" في توجيهاته وتعريبه طائفة من نماذج هذا الأدب»[3].

كما لم يقتصر اهتمام "طه حسين" على الأدب اليوناني القديم فحسب؛ فمن المؤكّد أنّه قد تأثّر بالثّقافة الفرنسية، والأدب الفرنسي ، فهو الذي رأى الحياة الفرنسية، وعرف حقائق ثقافتها وتعمّق في بعض فكرها و مناهجها، فآثر أن يتقاسم تلك القيمة المعرفيّة والثقافة الواسعة مع قرّائه. وبذلك عرف "طه حسين" كيف يضع لنفسه مكانًا «بين كبار كتّاب العالم نظرا لتمكّنهم من لغة أجنبية إلى جانب لغتهم الأصلية، فعرفوا كيف يعوّدوا مواطنيهم على ذخائر ثقافة، وفكر لم يكن هؤلاء المواطنون ليكتشفوها

[1] ا سامي الكيّالي، المرجع السابق، ص47.

[2] إبراهيم الأبياري، وآخرون، طه حسين كما يعرفه كتّاب عصره، ص111.

[3] سامي الكيّالي، المرجع السابق، ص47.

بدونهم»[1] فقد حرص"طه حسين" على ترجمة مجموعة من روائع الأدب الفرنسي، ترجمة دقيقة نقلها إلى القارئ العربي خصوصا مَن تعسّر عليه دراسة اللّغة الفرنسية وفهمها، ومن بين تراجمه للأدب الفرنسي فقد «ترجم طه حسين "أندروماك" لراسين، و"زاديج " لفولتير، ولأندريه جيد"أوديب"، و"كتيسوس" في مجلّد، وبروميثيه غير محكم الأغلال، في عدد من أعداد الكاتب المصري»[2]، ويضيف "طه حسين" لحظاته التي قضاها في فرنسا أيام شبابه، بين مجموعة من أدباء الغرب، وكيف وجدها نافعة لعقله وراحة باله كما مكّنته من الاطّلاع على تلك الآداب، ونقلها وعرضها على القرّاء، وحقّقت إليه تلك الصّلة التي كان يبحث عنها، صلة الشّرق بالغرب، فيقول: «وقد كنت أحسّ حين أقرأ هذه الآثار الأدبية، وحين أعرضها على قرّاء العربية أنّي أنهض بواجب خطير، وهو تحقيق الصّلة العقلية بين الشّرق والغرب»[3]، و يعدّ"طه حسين" من مناصري التّرجمة، شديد الإيمان بفاعليّتها في عمليّة النهضة، وتقويم الفكر وتحقيق الصّلة بين الحضارات وآدابها، ففي نظره من غير الممكن أن يعيش الأدب معزولاً عن باقي آداب الأمم المختلفة، حيث أنّه يرى«أنّ الأدب الحي لا يستطيع العزلة، وإنّما هو مضطرّ لأن ينقل منها ويترجم عنها»[4]، ولأنّ التّرجمة وسيلة أساسية للثقافة والتّعبير عن وحدة العقل الإنساني فقد جعلها "طه حسين" أحد أهمّ أولوياته فحرص عليها ودعاإليها، حيث« تكبدّ المشاقّ ليسهر على تمثيل اللّغات الأجنبية في التّعليم الجامعي، ولم يتردّد وهو عميد كليّة آداب القاهرة في إنشاء قسم فرنسي يزوّد طلّابه أحسن الكليّات الفرنسية، فأكثر من البعثات العلميّة ولم يبخل بالإنفاق عليها»[5]، ولعلّ اغتراب "طه حسين"، وكثرة تنقّله وسفره الذي لايكاد ينقطع؛ هو ما دفعه لدعوة الأدباء والشّعراء للاغتراب عن الدّيار، لما لتلك الغربة من عظيم الفوائد على ذائقتهم، وخواطرهم إذ« لاشكّ أنّ النّأي عن الدّار، والتنقّل في أقطار الغربة؛ يثيران في نفس الكاتب من العواطف والخواطر ما

[1] إبراهيم الأبياري، وآخرون، طه حسين كما يعرفه كتّاب عصره، ص112.

[2] المرجع نفسه، ص118.

[3] طه حسين، لحظات، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، القاهرة، مصر،2012م، دط،ص7.

[4] المصدر نفسه، ص8.

[5] إبراهيم الأبياري، وآخرون، المرجع السّابق، ص117.

لا تثيره الإقامة، والاستقرار، وممّا يهيّء الكاتب تهيئة خاصّة للشّعور، والحس، والتّعبير، والتّفكير،لا تستقيم له حين يكون مقيما مستقرا في داره و بين أهله»[1]، فالتفات "طه حسين" نحو مجال التّرجمة والاهتمام بها، والتّشجيع عليها يدخل ضمن دائرة مواكبة العصر، ومسايرة التّغيرات ممّا يزيد من خدمة موسوعتنا الثقافية والنهوض بها، ففي نظره ما زالت الأمّة العربية «أقلّ حظًا من الترجمة، وأقلّها معرفة بأيسر مظاهر الحياة العقلية الأوروبية، ومصدر ذلك أنّنا نجهل كثيرا من اللّغات الأجنبية»[2]، وبذلك فقد أدرك "طه حسين" أهميّة الترجمة وما لها من دور كبير في إرساء دعائم المعرفة وخلق جسور التّواصل بين الأمم والثقافات من جهة، وقصور أمّتنا العربية في الإلمام بجوانب هذا الفن نظرًا لجهلهم باللّغات الأجنبية من جهة أخرى، ولتدارك هذا التخلّف والجهل بآداب الغرب، وثقافتهم؛ يرى "طه حسين" أنّه لا بدّ لنا «أن نترجم ونكثر من التّرجمة،ونبذل في ذلك أقصى ما نملك من الجهد وأكثر ما نستطيع من المال»[3].

كانت تلك هي نظرة "طه حسين" للتّرجمة، نظرة تنويرية نهضوية، الغاية منها النهوض بأدبنا العربي من خلال اتّصاله بالآداب الأخرى، وتلاقح ثقافتنا مع ثقافات الأمم الأخرى، وذلك لن يحدث إلاّ حينما نترجم ونكثر من الترجمة كما قال وأكّد طه حسين.

[1] طه حسين، من بعيد، مؤسّسة الهنداوي للتّعليم والثّقافة، القاهرة، مصر، 2012م، دط، ص7.

[2] طه حسين، مستقبل الثّقافة في مصر، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، ط2، ص 274.

[3] المصدر نفسه، ص 275.

ثالثا- المنهج التّاريخي المقارن عند طه حسين:

من المؤكّد أنّ ثورة "طه حسين" الفكرية لم تقتصر على الأدب من حيث قديمه، والسّعي نحو بعث الرّوح فيه، والدّعوة لتجديده والنّهوض به فحسب؛ بل تجاوزتها نحو ثورة مماثلة لها في المناهج، حيث أنّ التنوّع المعرفي عنده «لا يشمل الموضوعات الفكرية فحسب؛ ولكنّه يشتمل أيضا على تنوّع في الاتّجاهات والمناهج الفكرية»[1]، فعقب بعثته إلى فرنسا والتحَاقه بجامعة السوربون استطاع "طه حسين" هضم المناهج الغربية، وفهمها وتطبيقها على دراساته، ومنها المنهج التاريخي الفرنسي؛خصوصًا وأنّ بعثته «تزامنت مع الحركة النقديّة الفرنسية، وما حملته من رؤى سياقية وتاريخية، وقد بدا هذا التعانق الفكري بين "طه حسين" والنّقد الفرنسي الحديث في القرن التّاسع عشر أوّلا في الجامعةالمصرية، ثمّ تعمّق أكثر غداة رحلته إلى فرنسا»[2]، ولعلّ ما جاء به "طه حسين" من ثورة على المناهج والدّراسات القديمة لم يكن نتيجة تكوين غربي بحت، وإنّما هو نتيجة فهم ومقارنة لتلك المناهج القديمة بمناهج غربية أخرى حديثة، ولا شكّ في أنّ التّكوين المعرفي التراثي لدى "طه حسين"« وثقافته التراثية العميقة، هي ما مكّنه من ذلك الوعي النقدي الذي تجاوز به الموروث ، ثمّ امتصّ الثقافة والمناهج الفرنسية في جامعةالسوربون بباريس، وهذا كلّه ما نسمّيه التناص المعرفي، أي ما يتعلّق بالنّقد الثقافي المقارن، والنّقد الأدبي المقارن وهو ما مارسه طه حسين»[3]،وإنّ أوّل ثمرة قطفها "طه حسين"، وعبّر بها عن فهمه العميق، واستيعابه الدّقيق للمنهج التّاريخي الفرنسي الذي يختلف كلّ الاختلاف عن مناهج الأزهر التي اعتادها سابقا؛ هي رسالته التي تخرّج بها من الجامعة المصرية أوّلًا، ثمّ رسالته التي تخرّج بها من جامعة السوربون، وبهذين «البحثين العلميّين الخطيرين في الحياة الثقافية العربية الحديثة،حيث كان بحثه الأوّل عن "أبي العلاء "حياته وشعره، وفلسفته 1914م

[1] عبد السّلام الشاذلي، الأسس النظريّة في (مناهج البحث الأدبي العربي الحديث)، ص307.

[2] عماد شارف، المنهج التاريخي عند طه حسين، ص54.

[3] عزّ الدّين المناصرة، علم التناص والتّلاص(نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)، الهيئة العامّة لقصور الثّقافة، القاهرة، مصر، 2010م، ط1، ص 159، 160.

والثّاني عن ابن خلدون، وفلسفته الاجتماعية 1917م، وفيهما وضع لأوّل مرّة الأسس العلميّة لمناهج البحث في تاريخ الأدب والحضارة العربية»[1]، فمن خلال هذين البحثين عبّر طه حسين عن مدى استيعابه وفهمه وكذا اهتمامه بالنّزعة التّاريخية، والتي هي أحد أسس المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن، فأثناء دراسته لشخصية "أبي العلاء" نلاحظ، أنّه ركّز على دراسة عصر الشّاعر، ثمّ استنبط حياته من خلال ما أحاط به من مؤثّرات خارجية ساعدت في تكوين شخصيته من جهة، وفي شعره وأدبه من جهة أخرى، ويذهب "طه حسين" في كتابه المثير للجدل كتاب «في الشّعر الجاهلي إلى توطين المناهج الفرنسية من خلال قراءته لنظرية الانتحال»[2]، فمن خلال أفكاره التي طرحها، وأوردها في كتابه هذا، قد أعلن شكّه في صحّة الشّعرالجاهلي وتعدّ محاولته هذه هي الرّائدة في تاريخ النّقد العربي، والأقرب إلى التّكامل، حيث اعتمد في تحليله على خليط من المناهج أهمّها: المنهج التّاريخي، والمنهج التّفسيري، وكذلك الانطباعي، منطلقًا من فكرة الشّك المنهجي عند ديكارت»[3]، وتشبّع "طه حسين" بالرّوح العلميّة، وتقديسه للعقل والحريّة، ورفضه للمسلّمات، واتّصاله العميق بمناهج الغرب الحديثة، ودراستها للآداب، وتاريخها، وكذا استفادته من كبار أساتذة التّاريخ هو ما مكّنه من «التشبّع بالروح التاريخية، وبالمنهج التاريخي في دراسة الأدب، ودراسة التاريخ ومنهجيته عند أكبر أساتذة التاريخ الفرنسي في مطلع القرن العشرين، ومن دراسته الأدب عند الأخوين كروازي ، ثمّ تتلمذه على "لا نسون" فعرف بذلك المنهج التاريخي نظرية، وتطبيقًا من مختلف مصادره،كمصادر ازدهار اللّانسونية وذيوعها، فبديهيّ أن يتعلّم منها الشّك المنهجي، وحريّة الرّأي والمجاهرة به وتقديس العقل»[4]، وعليه فمنطلق "طه حسين" في دراسته للأدب العربي القديم، كان منطلقاً تاريخيا ينزع فيه نحو المقارنة، ففي كتابه "الأدب الجاهلي" يتجلّى بصورة واضحة حسّ المقارنة في دراسته للشعر الجاهلي، فما «يلفت الانتباه أنّ طه حسين

[1] عبد السّلام الشاذلي، الأسس النظريّة في (مناهج البحث الأدبي العربي الحديث)، ص 308، 309.

[2] عزّ الدّين المناصرة، علم التناص والتّلاص(نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)، ص160.

[3] المرجع نفسه، ص ن.

[4] عبد المجيد حنون، اللانسونية(وأبرز أعلامها في النقد العربي الحديث)، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في الأدب العربي جامعة الجزائر، معهد اللّغة والأدب العربي، 1991م، ص 190.

وهو يتحدّث عن الشّعر الجاهلي ما فتئ يذكر الأدب الإغريقي ويشير إلى نقاط التشابه بين الأدب العربي الجاهلي وهذا الأدب الإغريقي، ويقارن بين لغة قريش ولغة الأثينيّين، وكيف أنّ اللّغتين غلبتا على اللّهجات الأخرى لغة الشعر والكتابة»[1]، ويذهب "طه حسين" في نقده إلى أعمق من ذلك؛ فنجده «يقارن بين شعر اليونان وقصصهم من جهة، وشعر العرب وقصصهم من جهة أخرى، ويقارن بين شاعرهم "هوميروس" وشاعر العرب "امرىء القيس" والطّابع الأسطوري الذي أضفى على الشخصيتين، فيقول إنّ شخصيّة امرئ القيس... أشبه شيء بشخصية الشاعر اليوناني هوميروس»[2]فما نلاحظه من خلال مقارناتة الأدبية هو سعيه للبحث عن أوجه التشابه والاختلاف لتلك الآداب والأدباء من جهة، ولإثبات الصّلة والعلاقة التي جمعت بين الحضارة العربية والحضارة اليونانية القديمة من جهة أخرى، فطه حسين ينزع للمقارنة «لكي يثبت أنّ جذور الثقافة اليونانية القديمة واللّاتينية جزء أساسي مكوّن للثقافة العربية والشخصية المصرية»[3]. وهذا التّأثير القائم بين الحضارات لا يقتصر على أثر الحضارة اليونانية في الحضارة العربية فقط، وإنما كان للحضارة العربية عظيم الفضل في تأثيرها على الأدب اليوناني شعره ونثره، وفي ذلك يقول طه حسين: «إنّ تبادل المنافع بين العقل المصري والعقل اليوناني في العصور القديمة؛ قد كان شيئا يشرف به اليونان، ويمتدحون به فيما يقولون من شعر و ما يكتبون من نثر، فمصر مذكورة في شعر القصّاصين اليونانيين، وفي شعر الممثلين اليونانيين، ومذكورة عند هيرودوت، ومن جاء بعده من الكتّاب والفلاسفة»[4].

و عليه تجدر بنا الإشارة إلى أنّ هذا التتبّع الدّقيق لكلّ من التراث العربي، والتراث اليوناني من طرف طه حسين، هو نتيجة إدراكه لمنهج تاريخي يتتبّع حركة الآداب في مراحلها التاريخية المختلفة ممزوجًا بمنهج آخر يقتضي ويستلزم المقارنة، وذلك بعد تأكّده من اتّصال تلك الأمم ببعضها، فيثبت وجود علاقة تأثير

[1] عبد القادر بوزيدة، طه حسين ومنهج الشّك الديكارتي والمسألة الهوميرية(دراسة مقارنة)، مجلّة اللّغة و الأدب بجامعة الجزائر، ع 05، 1994م، ص13.

[2] المرجع نفسه، ص13.

[3] إسماعيل سراج الدّين، لطفي عبد الوهّاب، طه حسين معلّم الأجيال، ص15.

[4] المرجع نفسه ، ص90.

وتأثّر حدثت نتيجة ذلك الاتّصال. لذلك نجد "طه حسين" يركّز أثناء دراسته للأدب على المؤثّرات التي خضع لها ذلك الأدب، ففي نظره «لا سبيل إلى درس الأدب وفقهه، إلّا إذا درست الحياة التي سبقته... والحياة التي عاصرته، والحياة التي جاءت بعده تأثيرًا وتأثّرا»[1]. وتلك أحد الأسس التي يقوم عليها المنهج التاريخي المقارن و"طه حسين" لم تقتصر مقارناته على الشقّ الأدبي فحسب، بل تجاوزتها نحو مقارنة القضايا النقدية كذلك، فنجده يقارن بين نحل الشعر عند العرب، وعند الأمم الأخرى، وذلك عند قوله:« أنّ نحل الشعر لم يقتصر على الشعر العربي وحده بل شمل أيضا شعر الأمم القديمة كاليونان والرومان»[2]، فغالبا ما نجده يعتمد ويركّز على نفس المنهج في تتبّعه للقضايا الأدبية والفكرية، ويعتمد على مصطلحات تخدم أبحاثه في المقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى، «فيستعمل العميد مصطلحات من قبيل المقارنة و"التّأثير" و"التأثّر"، ممّا يثبت الحسّ النّقدي المقارن عنده في تلك المرحلة المبكّرة من نقدنا العربي الحديث»[3]، فتركيزه على تلك الصِّلات التي جمعت الأمم ببعضها وتقفّيه لها من أجل دراسات صحيحة للأدب العربي هو دون شكّ يصبّ في لبّ الدّراسات المقارنة، أمّا في تقديمه لكتاب "نقد الشّعر" لقدامة بن جعفر، والذي أرّخ فيه لنشأة البيان العربي، فيذكر العناصر المكوّنة للبيان العربي في القرن الثاني، ثمّ يخلص إلى أنّ« البيان العربي في ذلك العهد مكوّن من ثلاثة عناصر مختلفة، العنصر العربي وهو واضح شديد الوضوح، ثمّ العنصر الفارسي الذي يميل إلى البراعة والظرف في القول والهيئة، ثمّ العنصر اليوناني الذي يتّصل بالمعاني من حيث دقّتها والعلاقة بينها وبين الألفاظ»[4]، فهو يركّز ويثبت صلة البيان العربي بالبيان الفارسي واليوناني، وإن كان الأدب المقارن يجعل من مهامّه ملاحظة الصّلة التي تنشأ بين أدب وآخر؛ فيمكن أن نعتبر ما جاء به"طه حسين"يدخل ضمن حيّز الدّراسات المقارنة، ويواصل "طه حسين" تتبّعه التاريخي للبيان العربي وتطوّره

[1] عبد السّلام الشاذلي، الأسس النظرية في(مناهج البحث الأدبي العربي الحديث)، ص 324.

[2] المرجع نفسه، ص366.

[3] رشيد بالعيفة، أصول المنهج النقدي عند طه حسين(نقد التراث الشعري أنموذجا)، ص99.

[4] شكري فيصل، مناهج الدّراسة الأدبية(في الأدب العربي، عرض، نقد، واقتراح)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 1978م، ط4، ص116.

« فيرى أنّ هذا التطوّر أكثر ما يعود إلى أثر الثقافة اليونانية سواءً أكان هذا الأثر مباشرا أو غير مباشر... ويستشهد على تأثيرها في الأدب العربي بأبي تمام في الشعر، وعبد الحميدفي النثر»[1]، فإشارته لتأثّر كلّ من أبي تمّام في الشعر، وعبد الحميد الكاتب في النثر بالثقافة والأدب اليوناني؛ على الرّغم من اختلاف اللّغة. والواضح أنّ"طه حسين" لايعبأ باختلاف اللّغة أثناء مقارناته، وبذلك يكون قد طبّق أحد شروط المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن التي تجعل من اختلاف اللّغات شرطًا أساسيًا لقيام الدّراسة الأدبية المقارنة وفي كتابه "من حديث الشعر والنثر" الذي جمع فيه طه حسين مختلف محاضراته التي ألقاها في محافل ومناسبات أدبية مختلفة ففي هذا الكتاب يكشف "طه حسين" عن أثر الأدب العربي، والآداب العالمية الكبرى حيث «يرجع في مقارناته العديدة بين الأدب العربي والآداب العالمية الكبرى الكثيرة، من الأصالة والإبداع إلى الأدب العربي»[2]،ففيه أعلن "طه حسين" عن صريح رأيه في قيمة أدبنا العربي فيذهب« إلى أنّ الأدب العربي شعره ونثره وعلمه وفلسفته، لا يمكن بحال من الأحوال أن يقلّ عن الآداب الأربعة القديمة بل هو من غير شك متقدّم على الأدب اللاتيني والفارسي»[3].

ولعلّ ما جاء به "طه حسين" في كتابه هذا من مقارنات أدبية كثيرة، ركّز خلالها على الصّلات التاريخية التي نشأت بين تلك الآداب وما حدث بينها من تبادل أثبت وجود عامل التّأثير والتأثّر، هو ماجعل شكري عيّاد يرى بأن كتاب «"من حديث الشّعر والنثر" لطه حسين يجب أن تؤرّخ بظهوره نشأة الأدب المقارن عندنا»[4].

وعليه يمكن القول إنّ ما سعى إليه "طه حسين" من خلال «تطبيقه لمنهجه الفكري التاريخي المقارن ذي النّزعة العقلانية على سلوكه الشّخصي، والأخلاقي، والاجتماعي، بالإضافة إلى تطبيقه على مباحثه

[1] شكري فيصل، المرجع السّابق، ص117.
[2] عبد السّلام الشاذلي، الأسس النظرية في(مناهج البحث الأدبي العربي الحديث)، ص330.
[3] المرجع نفسه، ص ن.
[4] شكري محمد عيادة، تجارب في الأدب والنّقد، ص 36.

العلمية والأدبية، يمثّل خير نماذج الإبداع للإنسان العربي الحديث الذي حاول أن يتجاوز تلك الهوة السحيقة بين النظرية والتطبيق، أو بعبارة أبسط بين الكلمة والفعل»[1].

واستنتاجا مما سبق، فقد توصّلنا إلى أنّ المقارنة في طروحات "طه حسين" لم تكن مجرّد نزعة ساورت عقله، وفكره في مرحلة من المراحل، وإنّما هي فكرة لصيقة بدراساته، وعليها يقوم نقده، فما جاء به في باب الترجمة، وما أقدم عليه من ثورة على المناهج، كان حدثا مهمّا في ميدان الدّراسات الأدبية، فقد أخرجها من طور قديم إلى طور آخر حديث تغيّرت فيه تلك الدّراسات تغيّرا تامّا، وأصبحت بذلك لا تقلّ مكانة عن مثيلاتها في الآداب الغربية.

[1] عبد السّلام الشاذلي، الأسس النظرية في(مناهج البحث الأدبي العربي الحديث)، ص369.

المبحث الثاني:

مقارنات طه حسين الأدبية في كتب مؤرّخي الأدب المقارن العربي.

- **أوّلا- مقارنات طه حسين الأدبية في كتب المقارنين العرب المتقدّمين.**
- **ثانيا- مقارنات طه حسين الأدبية في كتب المقارنين العرب المتأخّرين.**

أوّلا- مقارنات طه حسين الأدبية في كتب المقارنين العرب المتقدّمين:

سعى مؤرّخو الأدب المقارن في العالم العربي إلى محاولة تأصيل هذا الحقل المعرفي في الثّقافة العربيةمنذ أقدم العصور إلى المرحلة التي سبقت مباشرة تأسيسه الرّسمي والتي«تمتد من سنة 1948م إلى غاية 1960م»[1]، فأتى هؤلاء المؤرّخون على استعراض مساهمات عربية عديدة من القديم والحديث، وعليه سنحاول القيام بعملية مسح لتلك الكتب لنستعرض ما جاء به أولئك المؤرّخون حول مقارنات "طه حسين" وما أسهم به في إرساء دعائم هذا الحقل المعرفي في الوطن العربي في مرحلة الأوّليات. وسنحاول فيما يلي أن نتتبّع بعضا من تلك الكتب؛ وذلك حسب تاريخ صدورها، لكن لا بأس أن نشذّ عن القاعدة في التّسلسل الزّمني، ونبدأ بكتاب"غنيمي هلال" باعتباره الكتاب الرّائد في الأدب المقارن العربي،ثمّ نعود لنتتبّع ذلك التّسلسل.

1) محمد غنيمي هلال "الأدب المقارن"، 1953م:

تؤرّخ الدّراسات على أنّ الإنطلاقة الفعلية للدّرس المقارن العربي«على أساس علمي ومنهجي كانت بعودة "غنيمي" من فرنسا 1952م، وإصداره لكتابه الرّائد الأدب المقارن 1953م»[2]، وبما أنّ كتابه هو الرّائد في مجاله؛ فقد حاولنا العودة إليه، والبحث في صفحاته علّنا نجد إشارة أو ذكرًا لمقارنات "طه حسين"، غير أنّنا لم نلحظ أيّ التفاتة منه لتلك المقارنات، وإنّما اكتفى "غنيمي" بإشارة عامّة دون ذكر لأيّ علم من الأعلام واقتصر حديثه على «تلك البعثات الموفدة من قبل الجامعات العربية، لأجل الإطّلاع على الآداب الأخرى

[1] سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن(دراسة منهجية)، ص201.

[2] قسم البلاغة والنّقد الأدبي والأدب المقارن، كليّة دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، محمد غنيمي هلال(ناقدا ورائدا في دراسة الأدب المقارن)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1996م، دط، ص 142.

ودراستها دراسة منهجية، ثمّ العودة بثقافة واسعة تمكّنهم من القيام ببحوث مقارنة رصينة تصبّ في عمق هذا العلم»[1].

ولعلّ إهمال "غنيمي هلال" لمقارنات أولئك الأعلام بما فيهم "طه حسين"، وكذلك لأعمال من سبقوه ومن عاصروه راجع لتكوينه الثقافي الخّاص، وتمكّنه من الدّرس المقارن الذي تعلّم أسسه وقواعده في الخارج، فيبقى بذلك«مخلصًا لأساتذته في السوربون على حساب إلغاء وجهات واتّجاهات ما وراء الأطلسي»[2].

2) نجيب العقيقي"من الأدب المقارن" 1948م:

صدر كتاب نجيب العقيقي"من الأدب المقارن" سنة 1948م، ويعد هذا المصنّف من الكتب التي صدرت في مرحلة التّأسيس لعلم الأدب المقارن العربي، وأثناء تتبّعنا لكتاب "نجيب العقيقي" لم نجد كذلك أيّ ذكر أو إشارة لمقارنات "طه حسين" الأدبية، سوى الإهداء الذي خصّه به في مقدّمة كتابه، وهويثني عليه «نشره لروائع الأدب العربي، ونقله لبدائع أدب الفرنجة في مذهب حرّ استطاع أن يحدث دويًا في نهضة الشّرق العربي»[3]، وإنّمااكتفى"العقيقي" ، في كتابه على«تعريف الأدب منذ آرسطو إلى غاية حدود عصره وراح يقدّم لمجموعة من الآداب الغربية كآداب فرنسا، إسبانيا، وإيطاليا؛ بما فيها الإسكندنافية، كما بحث عن أوجه المقارنة من العصر الجاهلي إلى 1948م، قارن كذلك بين الأدب العربي، والفرنسي من حيث الأنواع الأدبية، وقدّم ببلوغرافيا للأدب العربي منذ عصر النّهضة»[4].

وعليه يمكن القول إنّ تجاوز "العقيقي" لإسهامات "طه حسين" في حقل الأدب المقارن في مراحله الأولى وإسهامات غيره ممّن وضعوا اللّبنات الأولى للدّرس المقارن العربي يعود لجدّة هذا العلم في العالم

[1] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص 74.

[2] سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن(دراسة منهجية)، ص 211.

[3] نجيب العقيقي، من الأدب المقارن، دار المعارف، مصر، 1948م، ط1، ص3.

[4] سعيد علوش، المرجع السابق، ص203.

العربي، والتّأصيل له يحتاج لوقت وجهد وسعة إطّلاع، ربّما ذلك ما جعل العقيقي لم ينتبه للكثير من تلك المقارنات الأدبية، فتلك الفترة من الطبيعي أن تحمل في سماتها قصور البدايات.

3) إبراهيم سلامة "تيارات أدبية بين الشّرق والغرب"، 1951م – 1952م:

فإبراهيم سلامة وبعد إصداره لكتاب "تيارات أدبية بين الشرق والغرب"، يعّد من المؤسّسين الأوائل للأدب المقارن العربي، فكتابه هذا يعتبر«أوّل كتاب جامعي في الأدب المقارن، وضعه مؤلّفه لطلبة مرحلة اللّيسانس آنذاك»[1]، وخلال بحثنا في كتاب "سلامة" على مقارنات "طه حسين" وانتباهه لها، وجدنا أنّه يشير أو بتعبير آخر يشيّد « بجهود طه حسين من خلال دار العلوم التي كانت تهدف إلى دراسة الأدب العربي وتاريخه، واتّصاله بالآداب الأخرى، بالإضافة إلى اهتمامها باللّغات والآداب القديمة كالعبرية، والفارسية وكذا اعتكافها على دراسة الأدب الفرنسي واتّصاله بالأدب العربي، بدعوى وحرص شديد من طه حسين نفسه»[2]. كما يعزي "إبراهيم سلامة" الفضل إلى "طه حسين" في وضعه لأوّل مرجع مدرسي لعلم الأدب المقارن، واستفادة الطّلبة والأساتذة من الآراء التي صاغها في كتابه « الأدب التوجيهي لطلبة السّنة الأخيرة من الأقسام الثانوية الأدبية وأساتذتهم، حيث كان مرجعهم الوحيد في هذا الأدب والتوجّه الجديد، ومع تلك التغيّرات التي طرأت على دراسة الأدب في مصر أنذاك، لم يكن أمامهم مرجع سوى هذا الكتاب لفهم واستعاب هذا الدّرس»[3]، فبعد تتبّعنا لآراء سلامة إبراهيم لم نجد إشارات أخرى لإسهامات "طه حسين" سوى ما ذكرناه سابقا، فعلى الرّغم من أنّ "سلامة" قد تناول فيه الشّق التطبيقي لكتابه عنصرا عنونه بنقط اِلتقاء الثقافات»[4]، تحدّث فيه عن الصّلات التاريخية والثقافية التي قرّبت بين الأمة العربية والأمم

[1] إبراهيم عوض، في الأدب المقارن(مباحث واجتهادات)، المنار للطّباعة والنّشر، مصر، 2006م، دط، ص198.

[2] إبراهيم سلامة، تيارات أدبية بين الشرق والغرب (خطة ودراسة في الأدب المقارن)، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، 1951م- 1952م، ط1، ص 5 - 6.

[3] المرجع نفسه، ص 07 -08.

[4] سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن(دراسة منهجية)، ص 571.

الأخرى كاليونانية والفارسية غير أنّ الملفت لم نجد أيّ ذكر لطه حسين في ذلك خصوصًا وأنّه ضليع بالأدب والتاريخ اليوناني، ودراسته غنية بتلك المقارنات التي أثبتت وأرّخت للصّلة التي جمعت الأدب العربي بالأدب اليوناني.

4) محمد عبد المنعم خفاجي "دراسات في الأدب المقارن"، 1966م:

يعدّ عبد المنعم خفاجي من جيل المرحلة الثانية التي أسّست للأدب المقارن في العالم العربي، وقد أطلق سعيد علوش على هذه المرحلة «مرحلة التّرويج، والتي تمتدّمن 1960م – 1970م»[1]، والخفاجي هو الآخر لم نجد عنده شيء يذكر حول مقارنات "طه حسين" الأدبية، سوى إشارة عابرة لا تكاد تذكر ولكن لا بدّ من ذكرها، وذلك حين أورد موازنته للشاعرين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، وانتصر لشعر مطران في النهاية«فكان طه حسين يقول عن حافظ وشوقي أنّهما لم يبلغا من التفوّق ماكنت أحب لهما، وأتمنّى للشعر العربي الحديث ... فلم يكونا إلّا مرآتين صادقتين للعصر الذي عاشا فيه...وكان كذلك طه حسين يفضّل مطران عليهما ويشبّهه بأبي تمّام في القدماء»[2] ، ولعلّ عدم التفات خفاجي لتلك المقارنات الأدبيةالعربية في هذا الجزء من كتابه، يعود لتأثّره ونقله لأفكار "فان تيغم" من جهة وغنيمي هلال من جهة أخرى « فتفكيره في التّأليف في الأدب المقارن كان تحت تأثير ترجمة كتاب فان تيغم و محمد غنيمي هلال، وكذا الواجب التّعليمي في جامعة الأزهر»[3]، فمحاولة عبد المنعم خفاجي اقتصرت على نقل الآراء والأفكار التي كانت متداولة حول الدّرس المقارن في عصره.

و من خلال ما سبق فقد حاولنا تتبّع بعض كتب المقارنين العرب في المراحل الأولى من تأسيس درس الأدب المقارن في الفكر العربي بحثا عن مقارنات "طه حسين" وجهوده في هذا الحقل المعرفي. أمّا الآن

[1] سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن، ص592.

[2] محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب المقارن، ص ص84 – 85.

[3] سعيد علوش، المرجع السابق، ص616.

فسنحاول أن نستعرض مجموعة أخرى من كتب المقارنين العرب المتأخّرين بحثا عمّا أورده أولئك المقارنون حول ما جاء به طه حسين من مقارنات أدبية ووقوفا عند تقييمهم لتلك الجهود.

ثانيا- مقارنات طه حسين الأدبية في كتب المقارنين العرب المتأخّرين:

ظهرت كتب المقارنين العرب التي سنستعرضها في هذا المبحث في مرحلة متأخّرة، بعد مرحلتي التّأسيس والتّرويج، وهي «المرحلة الثالثة وتسمّى بعقد الرّشد، وتمتدّ من 1970م – 1984م»[1]، وعليه لنقف عند مجموعة من تلك المؤلّفات في هذه المرحلة التاريخية، وما تبعها والبداية ستكون مع:

1) ريمون طحان"الأدب المقارن، والأدب العام "،1972م:

ريمون وفي كتابه "الأدب المقارن والأدب العام" لم يدرج في دراسته أيّ من تلك الجهود والمقارنات التي أسهم فيها "طه حسين" في الدّراسات العربية المقارنة، كما لم يأت على ذكر أي علم من الأعلام، وإنّما اكتفى بما نقله العرب، وأسهموا به من نقل النصوص والفلسفة اليونانية، فنجده يشير «إلى فضل العرب في توجيه أنظار الأوروبيين إلى قيمة النصوص والفلسفة اليونانية، حيث قاموا بنقل جزء منها ومن العلم الإغريقي، وبفضلهم التفت الأوروبيون إلى تلك النصوص القديمة فترجموها، ونهلوا منها...»[2]،أمّا في التّرجمة وجهود المترجمين، فقد اقتصر حديثه على جهود المغمورين وغيرهم، فيقول: «يهمّنا ذكر هؤلاء المترجمين المغمورين كخليفة محمود،و فرح أنطوان، وإلياس فياض، ونقولا الحداد، الذين عملوا مع رفاعة الطهطاوي في مصر .... فعملوا على نقل العلوم والفنون، والثقافة والآداب الأجنبية إلى اللّغة العربية... فقدّموا عصارات الفكر العالمي للعرب»[3].

[1]سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن ، ص 620.

[2]ريمون طحان، الأدب المقارن والأدب العام ،ص18.

[3]المرجع نفسه، ص52.

2) عبده الراجحي "محاضرات في الأدب المقارن"، 1974م:

قسّم الرّاجحي كتابه محاضرات في الأدب المقارن إلى جزئين،جزء نظري، وجزء تطبيقي، وقد« ركز فيه اهتمامه على الشقّ التّطبيقي؛ معتمدا على ما جاء به أستاذه غنيمي هلال من طرح في الأفكار»[1]، أمّا في الشقّ النظري ومن خلال بحثنا لم يذكر الراجحي جهود المقارنين العرب، ومقارناتهم الأدبية في مرحلة البدايات لهذا الحقل المعرفي، بما في ذلك مقارنات "طه حسين" التي هي موضوع دراستنا وإنّما اكتفى بالإشارة لطه حسين في حقل الترجمة، وما جاء به من نقل للثقافة اليونانية للقارئ العربي فيقول: «وقد حاول طه حسين أن يعرّف الأدب العربي بأدب اليونان القدماء حين قدّم نماذج من الأدب التمثيلي عندهم»[2].

3) مناف منصور"مدخل إلى الأدب المقارن(سعيد عقل وبول فاليري)"، 1980م:

أتى مناف منصور في كتابه "مدخل إلى الأدب المقارن، على ذكر مجموعة من الروّاد الذين كان لهم السّبق في هذا الإتّجاه، وبفضل محاولاتهم تشكّلت البداية الفعلية للدّرس المقارن العربي، غير أنّنا لا نجد ذكرا لطه حسين ضمن مجموعة أولئك الروّاد،فذكر على رأسهم« سليمان البستاني، في ترجمته للإلياذة في مرحلة مبكّرة، ثم أتى على ذكر مجموعة من المحاولات الجزئية بعد الحرب العالمية الثانية لغنيمي هلال وإبراهيم سلامة، والعقيقي ، وصفاء خلوصي... وختمها بمقالة كتبها عباس محمود العقاد في عام 1948م»[3] والملاحظ فيما أتى به مناف منصور، أنّه أسقط أسماء مجموعة من الأعلام؛ منها من سبقت "سليمان البستاني"، ومنهامن أتت بعده كدراسات طه حسين التي لا تكاد تخلو من المقارنة.

[1]عبده الراجحي، محاضرات في الأدب المقارن، دار النّهضة العربية، بيروت، لبنان، دت، ط2، ص05.

[2]المرجع نفسه، ص24.

[3]مناف منصور، مدخل إلى الأدب المقارن (سعيد عقيل، وبول فاليري)، ص57.

4) أحمد درويش "الأدب المقارن(النظرية والتطبيق)"، 1984م:

صدرت الطّبعة الأولى من هذا الكتاب سنة 1984م، أمّا نحن فقد اعتمدنا في دراستنا على الطّبعة الرابعة، وفيما تعرّض أحمد درويش إلى جهود روّاد الأدب المقارن، فاكتفى بما جاء به كلّ من«رفاعة الطهطاوي من طرح لمظاهر المقارنة في كتابه" تخليص الإبريز"، وعلي مبارك في روايته التّعليمية علم الدّين»[1]أمّا عن "طه حسين"فلم نجد أي ذكر لمقارناته وجهوده، وإنّما اقتصرت إشارة أحمد درويش على دور البعثات العلمية، وما أفادت به من دراسات حول تاريخ الأدب، فما قام به«أعضاء البعثات العائدين من أمثال د. أحمد ضيف، ود.طه حسين، كان ذلك كلّه عاملًا أساسيًا لقيام مفهوم عصري لتاريخ الأدب يمكن أن يتفرّع عنه علم جديد مثل الأدب المقارن»[2]، وفي موضع آخر لاحظنا أنّه قد خصّص جزءً من دراسته لمقارنات العقاد، فيشير في بداية الدّراسة لتلك النّزعة، فيقول: « وهي نزعة لم ترتبط بالضرورة بالأدب المقارن، وإنّما وازته و تقاطعت معه في بعض المراحل واحتفظت لنفسها بمصطلحاتها الخاصّة في مراحل أخرى »[3]،والملفت أنّ العقاد من النقاد الذين عاصروا طه حسين، فكيف التفت درويش لمقارنات العقاد وتجلّياتها في كتاباته وخصّص لها حيّزا في دراسته، وهو يقرّ في بداية تلك الدّراسة أنّ ما جاء به العقاد لم يكن من جوهر الدّراسات المقارنة، وإنّما كان قريبا منها يتقاطع معها في بعض المراحل، بينما أغفل ما جاء به طه حسين على الرّغم من أنّه يصبّ في جوهر الدّراسة المقارنة ؟

5) سعيد علوش "مكوّنات الأدب المقارن في العالم العربي"، 1987م:

يشير سعيد علوش في كتابه" مكوّنات الأدب المقارن في العالم العربي" إلى موضوع الترجمات العربية الكلاسيكية، وإلى دور الأكاديميّين ونشاطهم الملازم للنّهضة العربية، وذلك حينما أبدوا اهتمامًا مختلفًا

[1]أحمد درويش، نظرية الأدب المقارن (وتجلّياتها في الأدب المقارن العربي)، ص36.

[2]المرجع نفسه، ص37.

[3]المرجع نفسه، ص55.

وحديثا بالتّرجمات التي عنيت بكتاب الشعر لأرسطو، وطه حسين واحد من أولئك الأكاديميّين الذين اهتمّوا بتلك الترجمات باعتبارها حافزا لبداية الدّرس المقارن العربي،يقول علوش في ذلك: « إذ كانت ترجمات كتاب "الشعر"لأرسطو مثار تأصيل للأدب المقارن عند العرب، حيث عدّه بعضهم بداية طبيعية وشرعية لهذا الدّرس في العالم العربي، وكان على رأس هؤلاء صفاء خلوصي،عبد الرحمن بدوي... طه حسين...»[1] وفي موضع آخر،يتناول سعيد علوش في دراسته جدولاً إحصائيا للمترجمين العرب، باعتبار الترجمة رافدا من روافد الأدب المقارن، بالإضافة إلى إحصاء عدد ترجماتهم، فالجدول يضم«المترجمين العرب مابين 1936م و 1947م، وعدد ترجماتهم، ومنهم طانيوس عبده 19، عبد الله عنان 18... طه حسين 04 ...»[2] وطه حسين من بين أولئك المترجمين الذين أسهموا بترجماتهم خلال الفترة التي سبقت الأدب المقارن ومهّدت لظهوره كما ينسب "علوش" الفضل لطه حسين في ظهور الترجمات الجامعية لأعمال شكسبير، فيقول : « ولم تظهر الترجمات الجامعية لشكسبير، إلّا بعد تبنّي الجامعة العربية لمشروع ترجمات أعمال مشكسبير الذي أوكلت الإشراف عليه إلى طه حسين، وهو مشروع ضخم .... ويعدّ من النماذج الفريدة...»[3].

6) عزّالدّين المناصرة" النقد الثقافي المقارن(منظورجدلي تفكيلي)":

خلال تتبّعنا لما جاء به المناصرة في دراسته (النقد الثقافي المقارن)، وجدناه يذكر "طه حسين" كواحد من الأسماء التي مهّدت لظهور الدّرس المقارن في العالم العربي، فيقول: «لعبت أسماء عديدة في الإرهاصات الأولى للأدب المقارن أحيانًا بمفهوم الآداب الأجنبية، مثل إبراهيم سلامة، فخري أبو السعود، عبد الرزّاق حميدة ... طه حسين، حسن توفيق العدل، وغيرهم، وأحيانًا أخرى في تهيئة المناخ المنهجي»[4]، ويشير عزّ الدّين المناصرة إلى نقطة مهمّة أدّت بالأساتذة الدّارسين إلى عدم الاهتمام بما جاء به كلّ من فخري أبو السعود في

[1] سعيد علوش، مكوّنات الأدب المقارن في العالم العربي، ص265.

[2] المرجع نفسه، ص282.

[3] المرجع نفسه، ص308.

[4] عزّ الدّين المناصرة، النقد الثقافي المقارن(منظور جدلي تفكيكي)، ص 409.

مقالاته، وطه حسين في كتابه"مستقبل الثقافة في مصر"، وذلك يعود لجهلهم بمنهجيّة الأدب المقارن من جهة، أو لأنّ تلك الدّراسات خالفت المنهج التاريخي الفرنسي السائد آنذاك، حيث يقول: «وربّما تكون مقالات فخري أبو السعود 1935م- 1936م، في مجلّة الرّسالة من صميم الأدب المقارن،ولم يتمّ الاهتمام بها في حينه لعدم معرفة بعض الأساتذة بمنهجية الأدب المقارن، أو لأنّ منهجية أبو السعود لا تتطابق مع المنهج التاريخي الفرنسي تماما مثلما كتب طه حسين"مستقبل الثقافة في مصر 1938م" دون أن يسمّى لاحقا في منتصف الستينيّات في بريطانيا بالنقد الثقافي المقارن»[1]، وعليه فالمناصرة بيّن أسبقيّة "طه حسين" وريادته مع مجموعة من الأعلام للدّرس المقارن العربي، فما قام به هؤلاء مهّد الطريق أكثر من فهم الدّرس المقارن.

7) الطاهر أحمد مكي "الأدب المقارن(أصوله وتطوّره ومناهجه)"، 1987م:

حين عدنا لكتاب أحمد مكّي بحثا عن جهود "طه حسين"، و مقارناته الأدبية لم نجد ما بحثنا عنه بل وجدنا رواية للطاهر أحمد مكي حول تدريس الأدب المقارن في جامعة القاهرة، حيث أشار إلى مجموعة من الأعلام الذين انطلق بفضل جهودهم في الدّرس المقارن بدار العلوم، و سنحاول أن نستعرض ما يهمّنا من تلك الرواية باختصار، يقول الطاهر مكي: «إنّ الدّراسات المنهجية الحديثة في تاريخ الأدب والنقد تدين لرجل قلّما ذكره الدّارسون، هو حسن توفيق العدل، تخرّج من دار العلوم عام 1887م،ثمّ سافر إلى ألمانيا وعمل فيها أستاذًا للعربية، وخلال ذلك، تعرّف على مجموعة من المستشرقين الألمان الأوروبيّين كذلك، كما تعرّف على مناهجهم، وبعد عودته عمل مدرسًا بدار العلوم، وألّف كتابه"تاريخ آداب اللّغة العربية"، فسار على نهجه أساتذة دار العلوم، كأحمد الإسكندري، ومصطفى عناني...»[2]، ثمّ يأتي على ذكر الجامعة الأهلية واهتمامها بالأدب واللّغة ودراستهما، وكذا دعوتها لمجموعة من المستشرقين، فيقول: «في عام 1908م، تم إنشاء الجامعة المصرية الأهلية التي عنيت بدراسة الأدب واللّغة العربية... ولكي تدفع بدراستهما إلى الأمام

[1] عزّ الدّين المناصرة، النقد الثقافي المقارن(منظور جدلي تفكيكي)، ص410.

[2] الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن(أصوله ومناهجه)، ص 175- 176- 177.

استقدمت بعض المستشرقين للنهوض بهذا العبء، وقد أوجز"طه حسين" في مقدمة كتابه"الأدب الجاهلي" هذا التطوّر وحدّد القائمين عليه، وبيّن ما اضطلعوا به»[1] وما لفت انتباهنا حول رأي الطاهر مكي هو إشارته إلى "طه حسين" على عجل دون التفافة أو تفصيل رغم أنّ جهده ألصق بالأدب المقارن، ثمّ يستمر في عرضه لما جاء به "طه حسين" في مقدّمة كتابه حول المنهج العربي القديم والمنهج الغربي الجديد « فعهدت إلى المرحوم "حفني ناصف"، والمرحوم "الشيخ مهدي"،بدرس الأدب وشرحه ونقده، كما عهدت إلى الأستاذ جويدي، ونالينو، وفييت بدرس تاريخ الأدب... كما كان آخرون يدرسون التاريخ الأدبي بمناهجهم الغربية الحديثة، فيعلّمون الطلاب كيف يبحثون ويقارنون ويستنبطون...»[2]، وفي هذا المقتطف الذي أورده الطاهر مكي، نلحظ خلوّه من أيّ إشارة إلى نزعة المقارنة، رغم تضمّن كتاب "طه حسين" لها، فهو يشهد على جهد المستشرقين، بينما يتّخذ من "طه حسين" مرجعًا هامشيا و ليس موضوعًا للدّراسة، ثمّ يعود ليذكر بعثة الجامعة الأهلية لكلّ من "طه حسين"، و"أحمد ضيف"، «فأرسلت أحمد ضيف الذي تخرّج من دار العلوم إلى فرنسا وحصل على الدكتوراة، وعاد إلى مصر عام 1918م، وعمل أستاذًا للأدب العربي في الجامعة العربية لكن "طه حسين" دسّ له، وعمل على نقله ليشتغل مكانه...»[3]، والطّاهر مكّي في نقله لهذه الحادثة والرواية، إنّما يسعى من ورائها ليثبت أنّ"طه حسين" لم يكن على علاقة بالأدب، وخلال بعثته لم يعنى أبدا بدراسته، وإنّما« الدكتور علي عناني وأحمد ضيف فقط هما اللّذان بعثا لدراسة اللّغة العربية وتاريخ الأدب... أمّا الدكتور طه حسين فبدأ دراسته في مونبوليه، وكانت في التاريخ، وقد استمر فيها دون تغيير وبديهي ألاّ يُلقي بالاً إلى الحوار الصاخب الدائر حول الأدب المقارن»[4]، ويستمر الطاهر مكي في تلك الرواية الممزوجة بالإساءة إلى شخص"طه حسين" فيقول: «وبعد عودته إلى مصر،عام 1920م، عُهد إليه بتدريس مادّة التاريخ القديم بكليّة الآداب، واستمر حتى عام 1925م... كان قد أعدّ ترقيته بمساعدة آخرين، لإزاحة

[1] الطاهر أحمد مكي، المرجع السّابق، ص176.

[2] المرجع نفسه، ص ن.

[3] المرجع نفسه، ص177.

[4] المرجع نفسه، ص 178.

زميله أستاذ الأدب العربي بكليّة الآداب الدكتور أحمد ضيف تمامًا كما حاول مع أستاذه المهدي من قبل..»[1] والملفت في رواية الطاهر مكي التي من المفترض أنها كانت تؤرّخ لبداية الدّرس المقارن في الجامعة المصرية، إلاّ أنّهاركزت على جانب سياسي لا تمتّ إلى تلك الدّراسة بصلة، وذلك ما أشار إليه عزّ الدّين المناصرة حينما قال:«إنّ شرح الطاهر مكي لبعض القضايا يحمل خلفية سياسية »[2]، وبعيدا عن تلك الرواية لطاهر مكي والتي من الواضح أنّها كانت سببًا في إغفال جهد"طه حسين"، وما جاء به من إسهامات في الدّراسة المقارنة العربية، ألم ينتبه الطاهر مكي إلى آراء أستاذه إبراهيم سلامة وهو يقرأ كتابه؟ خاصّة وأنّ إبراهيم سلامة في بداية دراسته يعزو الفضل لكتاب "طه حسين " " التوجيه الأدبي "، ويعتبره مرجعًا أساسيا ومهمّا للأساتذة والباحثين في الدّرس المقارن العربي، ألم يطّلع الطاهر مكي على ذلك ولو على سبيل الصدفة؟

8) حسام الخطيب "آفاق الأدب المقارن (عربيا وعالميا)"، 1992م:

يشير حسام الخطيب في دراسته إلى المرحلة التي سبقت الانطلاقة الفعلية للأدب المقارن في العالم العربي مع نهاية الأربعينيات، ويرى أنّ تلك المرحلة اتّسمت بالبحوث ذات الطّابع المقارني التّطبيقي و"طه حسين" من بين أولئك الذين نشطوا بمقالاتهم في تلك الفترة، وفي ذلك يقول الخطيب: «إنّ الدوريات العربية في مصر كانت تعجّ في الثلاثينيات بأمثال هذه المقارنات التطبيقية، ومنها مقالات ماريوس شميل في المقتطف ،وحسن رشيد نور ... وطه حسين وغيرهم»[3]، كما يعرض حسام الخطيب المراحل التاريخية التي مرّ بها مصطلح الأدب المقارن في الوسط الفكري العربي، وقد بيّن دور مجلّة الكاتب التي كان على رأسها طه حسين؛ وذلك حين نشرت المجلّة «مقالين في الأدب المقارن للكاتب الفرنسي إيتيامبل أعدّهما خصّيصا لهذه المجلّة التي كان يرأس تحريرها الدكتور طه حسين، وذلك عامي 1947م- 1942م»[4].

---

[1] الطاهر أحمد مكي، المرجع السّابق، ص178.

[2] عزّ الدّين المناصرة، النقد الثقافي المقارن(منظور جدلي تفكيكي)، ص 409.

[3] حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن (عربيا وعالميا)، ص160.

[4] المرجع نفسه، ص183.

9) إبراهيم عوض "في الأدب المقارن مباحث واجتهادات" 2006م:

يعرض إبراهيم عوض في دراسته شرحًا مفصّلاً لكتاب "التّوجيه الأدبي" باعتباره أوّل كتاب يتناول قضايا وموضوعات الأدب المقارن، فيقول:« ولعلّ كتاب "التوجيه الأدبي"، والذي وضعه طه حسين وأحمد أمين، وعبد الوهاب عزام، ومحمد عوض، لطلبة السنة الأخيرة بالمرحلة الثانوية في أوّل الأربعينيات بمصر هو أوّل كتاب مدرسي يعرض لموضوعات الأدب المقارن بشيء من التّفصيل»[1]، ويذكر مجموعة المواضيع التي وردت في الكتاب، ثمّ في موقع آخر نجد"إبراهيم عوض" يعرض رأي"محمد سعيد جمال الدين" في ما جاء به "طه حسين"من أثر الأدب العربي في الشعرالفارسي، وذلك حين قال: «إنّ طه حسين يرى بأنّ الشعر الفارسي يدين للأدب العربي بناحية من أنحائه وهي الأوزان الشعرية، وأنا أفهم محبّة الأستاذ "طه حسين" للأدب الفارسي لأنّه تخصّصه، بل إنّي لأرى أنّ هذه المحبة قد عادت على النقد والأدب المقارن بعدد من الأبحاث والدّراسات التي حَبَّرها يراعه»[2]، وفي ذلك اعتراف من محمد سعيد جمال الدّين بجهود "طه حسين" ودراساته التي تصبّ في عمق كلّ من النقد العربي والأدب المقارن ، كما أشار "إبراهيم عوض" إلى ريادة "طه حسين" في فنّ الأبجرامة*، وأنّه أوّل من أدخل هذا الفن إلى الفكر العربي، فيقول: «ولعلّ ما خطّته يراعة الدكتور طه حسين في مقدمة كتابه"جنة الشوك"، وأرجو ألاّ أكون مخطئا، هو أوّل ما ألّف في ذلك الموضوع في النقد العربي، وأغلب الظنّ أنّه أطول ما كتب عليه كاتب مشهور مثل طه حسين»[3]، فبخوضه في هذا الفن الجديد تنظيرا وتطبيقا كأوّل ناقد عربي في السّاحة الفكرية العربية، يكون بذلك "طه حسين" قد قدّم نموذجا جديدًا، ومختلفا من الفنون التي عرفتها الأمم الأخرى، إذ لاشك أنّ اطّلاعه على آداب الإغريق

[1] إبراهيم عوض، في الأدب المقارن(مباحث واجتهادات)،ص191.

[2] المرجع نفسه، ص251.

* الأبجرامة: قصيدة قصيرة من بيتين إلى ستّ أبيات، تنظمُ للسّخرية من أحد الحضور، تنقش وتسجّل على القبور والتماثيل، ظهرت بهذا الشّكل عند الإغريق بداية، ثمّ حوّلها الرومان إلى فنّ أدبي.

[3] إبراهيم عوض، المرجع السّابق، ص264.

والرومان القديمة هو مادفعه للتّأصيل لهذا الفن في الفكر العربي، وفتح بابا للدّراسات العربية وللدّارس العربي على فنّ عرفه القدماء العرب ممارسة وتطبيقا، غير أنّهم لم يؤسّسوا له نظريا.

وعليه فما نستنتجه من خلال هذين المبحثين اللّذين تناولنا فيهما مجموعة من كتب المقارنين العرب المتقدّمين منهم والمتأخّرين بحثا عن جهود "طه حسين" في حقل الدّراسات العربية المقارنة في مرحلة الأوليّات فلاحظنا ما يلي:

- تفاوت مقارنات طه حسين الأدبية من حيث الحضور والغياب في كتب مؤرّخي الأدب المقارن العربي في مرحلة الأوليّات.
- غيابها في أغلب كتب مؤسّسي الأدب المقارن العربي، حيث أهملت جهود"طه حسين"، رغم احتواء دراساته على الكثير من المقارنات التي تساوي في قيمتها وربّما تفوق مقارنات من احتفي بهم واستعرضت جهودهم.
- حضور مقارناته والانتباه لجهوده واستعراضها بشيء من التّفصيل في بعض كتب المقارنين العرب المتأخّرين.

المبحث الثالث:

مقاربة بين جهدي طه حسين وعباس محمود العقاد في حقل الدّرس الأدبي المقارن

(دراسة تحليلية).

- **أوّلا- دراسة مصطلح الأدب المقارن وتداوله عند طه حسين وعباس محمود العقاد.**
- **ثانيا- أوليّات المقارنة في ميدان الدّراسات التراثية عند طه حسين.**
- **ثالثا- أوليّات المقارنة في ميدان الدّراسات التراثية عند عبّاس محمود العقاد.**

أوّلا-دراسة مصطلح الأدب المقارن وتداوله عند طه حسين وعباس محمود العقاد:

لعلّ المتصفّح لورقات هذا المبحث، يتساءل عن سبب اختيارنا للنّاقد والمفكّر "عباس محمود العقاد"، لدراسة مقارناته الأدبية، والسّعي نحو مقارنتها بما جاء به "طه حسين" من مقارنات وجهود في حقل الدّراسات المقارنة العربية، وذلك أوّلا لأنّ "العقاد" و"طه حسين" عاشا في عصر فكري واحد، شهدا أعظم فِتراته الزاهية والراقية، وما جرى فيها من حراك أدبي وفكري قوي، وثانيًا لأنّ "عباس محمود العقاد" هو الآخر ارتبط فكره بالمقارنة؛ إذ «كانت فكرة المقارنة تلك قائمة في ذهنه منذ البدء»[1]، تمامًا مثلما لازمت فكرة المقارنة عقل "طه " وتجلّت في العديد من دراساته. ثالثا؛ لنقف على أكبر مقدار من مقارنات "طه حسين" وجهوده، كما ستمكّننا هذه المقارنة من تحليل بعض نصوصه، وفهم مقارناته التي ارتبطت ارتباطًا وثيقا بالتراث الأدبي القديم؛ خصوصًا الشعر الجاهلي. وأوّل ما سنحاول الوقوف عليه في هذه الدّراسة هو مصطلح"الأدب المقارن" ووُروده عند كلّ من "طه حسين"، و"عباس العقاد".

1) عند طه حسين:

بعد تتبّعنا لأثر "طه حسين"، في الدّراسات العربية المقارنة في مرحلة الأوّليات، وذلك بداية بظهور المصطلح، والذي تمّ تداوله على قلّة عند بعض الدّارسين، و"طه حسين" واحد من بينهم، وذلك حين تعرّض لمصطلح الأدب المقارن، في مرحلة مبكّرة قبل التّأسيس الفعلي له بالعالم العربي، وذلك عام 1947م « حين ألقى محاضرة في نادي الخرّيجين المصري يوم الجمعة، عنوانها "الأدب المقارن وأثره في التّقريب بين الأمم»[2]، ثمّ راح يناقش المصطلح ويصوّبه، ويفرّق بين ما تحمله لفظة "المقارنة"،و "الموازنة"، من معنيين مختلفين، « فبدأها بتصويب كلمة" مقارن" ردًا على ما يُخطّئونها، فقال: إنّ القرن في اللّغة، الحبل الذي يقرن به بين بعيرين، فما الذي يمنع أن يقرن بين شاعرين، أو فكرتين، لنرى ما بينهما من أوجه الشَبه

[1] أحمد درويش، نظرية الأدب المقارن(وتجلّياتها في الأدب العربي)، ص58.

[2] أحمد حسن الزيّات، مجلّة الرسالة، ع756، ج765، ص 37.

والاختلاف؟ بل المقارنة أدقّ من الموازنة...لأنّ الموازنة تقتضي تفضيل شيء على شيء، وليس في المقارنة تفضيل»[1]، فطه حسين، لم يشرع في محاضرته حتى تطرّق لمفهوم الأدب المقارن، والفروق بين فعل المقارنة والموازنة، إضافة إلى حديثه عن تاريخ الأدب المقارن، وتجلّياته في الثقافة والفكر اليوناني القديم، وكذلك في الدّراسات العربية القديمة في العصر الحديث، الذي حمل معه عمقًا ومنهجا في الدّراسات المقارنة الحديثة فيشير خلال ذلك إلى أنّ « الأدب المقارن، ليس علمًا حديثًا كما يقولون، بل عرفه الناس منذ عصور قديمة وذلك حين قاسوا بعض الآداب ببعض، كما فعل " هيروديت"، إذ تحدّث عن تأثّر اليونانيين ببعض الآداب المصرية القديمة، وكما فعل العرب حين ترجموا الآداب وتحدّثوا عن التراث الفنّي للأمم في صدر العصر العباسي، أمّا في العصر الحديث فقد تعمّق المحدثون النظريات القديمة، ووضعوا لها أصولًا وقواعد حتى تكون في الأدب المقارن، الذي ظهر أوائل القرن الماضي»[2].

وعليه يمكننا القول إنّ "طه حسين"، قد عرف هذا الحقل المعرفي تنظيرًا وممارسة، وكان على دراية واتّصال بكلّ ما يدور من حديث حول الأدب المقارن، انطلاقًا من دراساته التي كانت جلّها تصبّ في عمق الدّرس المقارن، إلى غاية حديثه عن مفهوم الأدب المقارن، وتاريخه الذي جاء في مرحلة مبكّرة سبق بها العديد ممّن أرّخوا لهذا الحقل المعرفي في وطننا العربي، وذلك عكس ما ذهب إليه "الطاهر أحمد مكي" حين أشار إلى « أنّ بقاء "طه حسين"، ومكوثه بجامعة مونبولييه، قد منعه من الاتّصال وسماع ذلك الحوار الصاخب الدائر حول الأدب المقارن»[3]، وقد أشرنا إلى ذلك في المبحث السّابق، فقد تجلّى ذلك الاتّصال بوضوح في دراساته من جهة، وفي ما تعلّق بالترجمة للأدب المقارن من جهة أخرى «فظهور أوّل كتابين للأدب المقارن عند العرب لترجمة كتاب" أزمة الضمير الأوروبي" لبول هزار، كان هذا الكتاب بمقدّمة طه حسين

[1] أحمد حسن الزيّات، المرجع السابق، ص ن.

[2] المرجع نفسه، ص ن.

[3] الطاهر أحمد مكّي، الأدب المقارن(أصوله وتطوّره، ومناهجه)، ص 178.

وتعاون في نشره جودة عثمان، ونجيب المستكاوي، سنة 1948م»[1]، وترجمة هذا الكتاب ظهرت في مرحلة مبكّرة، أي قبل التّأسيس الفعلي للأدب المقارن في الوطن العربي. بالإضافة إلى ما جاء به "حسام الخطيب" حول ترجمة مقالين في الأدب المقارن للكاتب الفرنسي "روني إيتيامبل- René ETIEMBLE" ، وقد وردت تلك الترجمة عن مجلّة الكاتب التي كان يرأسها طه حسين آنذاك[2]، فما أوردته المجلّة من ترجمة، كان هو الآخر في مرحلة مبكّرة، وكان مصطلح الأدب المقارن لا يزال يتراوح بين الظهور تارة، والاختفاء تارة أخرى في العالم العربي.

2) عند عباس محمود العقاد:

عباس محمود العقاد، واحد من النقاد الذين تعرّضوا لمصطلح الأدب المقارن، غير أنّه لم يكتفِ بمناقشة مفهوم المصطلح فحسب، وإنّما اعترض عليه، وفي ذلك يقول أحمد درويش «ولعلّ هذا المصطلح كانت له إشارة لدى العقاد في مقال كتبه في شبه احتجاج على المصطلح، والعقاد رجل شديد الدّقة، فكان يتساءل قائلا: "الأدب المقارن بماذا؟»[3]، فهو يبحث في الصيغة العربية عمّا يتوافق مع هذا السؤال، فالمقارنة تستدعي مقارنا به، فيشير إلى «أنّ الصيغة العربية عندما تستخدم هذا الفعل فاعل، فقول: "قارن بكذا" أي قارن شيئا بشيء، فيظنّ أنّه ينبغي أن يقال المقارن به أو المقارن بغيره»[4]، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ العقاد لم يتطرّق لمفهوم مصطلح الأدب المقارن ومناقشته « إلاّ بعد أن ترجمت كتب تحمل هذا العنوان، وحتى ترجم كتاب عن الأدب المقارن سنة 1945م»[5]، والواضح أنّ ضبابية هذا المصطلح، وما أثاره من نقاش لم تقتصر على الوسط الفكري الغربي فحسب، بل تجاوزها إلى الفكر العربي أيضا، وقد خصّصنا ملحقًا في

[1] سعيد علوش، مكوّنات الأدب المقارن، ص566.

[2] ينظر: حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن(عربيا وعالميا)،ص 183.

[3] أحمد درويش، نظرية الأدب المقارن (وتجلّياتها في الأدب العربي)، ص 57.

[4] المرجع نفسه، ص57.

[5] المرجع نفسه، ص 65.

بحثنا هذا، يتناول كذلك الجدل القائم بين الدّارسين حول مصطلح الأدب المقارن عند كلّ من الغرب والعرب، وما لاحظناه عند العقاد هو وضعه حدود فاصلة بين مفهوم المقارنة والموازنة، فحدود المقارنة ومفهومها تختلف عنده على مفهوم الموازنة وحدودها « فهو يعرّفها تعريفا يختلف عمّا نتّفق عليه نحن الآن ففي الدّراسات المقارنة نطلق الموازنة على المقارنة بين آداب تنتمي إلى لغة واحدة... أمّا العقاد؛ فهو يطلق الموازنة على كلّ مقارنة تبحث عن قيمة، كأن تقول:" من أقوى مِن مَن"، فهذه هي الموازنة عنده...أمّا المقارنة فيطلقها على كلّ عمل أدبي يبحث عن المزايا الفارقة دون مفاضلة»[1]، فما يقدّمه من خلال مفهومي الموازنة والمقارنة، أنّ الأولى تستند لحكم نقدي، فحينما تفاضل بين عمل أدبي وآخر، فأنت لا محالة تطلق حكما بأفضلية عمل على عمل آخر، بينما المقارنة فيكتفي فيها العقاد بأن نقارن الشيء بشيء آخر؛ دون أن نطلق حكما على النتائج التي ترتّبت عن تلك المقارنة، وعليه فالموازنة لإبراز القيمة، والمقارنة لإدراك الفروق.

ثانيا- أوليّات المقارنة في ميدان الدّراسات التراثية عند طه حسين:

ارتبطت دراسات "طه حسين" للآداب بالمقارنة والمماثلة، والمقايسة، إذ لا تكاد تخلو دراساته من فعل المقارنة، وكذلك سعى في دراسته للتراث الأدبي العربي مركّزا اهتمامه على الشعر الجاهلي وشعرائه، ومنها آراؤه النقدية التي يصبو فيها نحو المماثلة لتلك الآداب من جهة، وإعطائها طابع الحداثة بقراءة مغايرة جديدة من جهة أخرى، حيث « تنتظم القراءة النقدية عند"طه حسين" في شكلين متمايزين متباينين، أوّلهما قراءة بدافع النزوع نحو مماثلة التراث العربي للتراث اليوناني، ومن ثمّ الأوروبي، وثانيهما قراءته للشّعر العربي قبل الإسلام قراءة حديثة»[2]. انطلاقًا من هذا الفكر النقدي الذي يقوم أساسه الأوّل على التّحليل والاستنباط والمقارنة، كما أشار إليه في مقدّمة كتابه" في الأدب الجاهلي"، وراح "طه حسين" يقدّم لطروحاته ودراساته بمنهج وآليّات جديدة استثمرها في الأخذ من أفكار أساتذته الغربيّين، وطبّقها حين« تمثل

[1] أحمد درويش، المرجع السّابق، ص 65.

[2] رشيد بلعيفة، أصول المنهج النقدي عند طه حسين(نقد التراث الشعري أنموذجا)، ص93.

طروحات المنهج التاريخي الذي أرسى دعائمه "إيبوليت أدولف تين Hippolyte Taine"، و"شارل أوغستان سانت- بوف Charles Augustin Sainte-Beuve"، ومن بعدهما فرديناند برونتيير Ferdinand Brunetière"»[1]، إذ لا شكّ أنّ مختلف دراساته ورؤاه، وأفكاره، عكست إلمامه بتاريخ التخصّص عند الفرنسيّين، ومكّنته من فتح باب جديد في ميدان الدّراسات التراثية. وعليه؛ سنحاول أن نستعرض بعضا من تلك الدّرسات التي اتّسمت بحسّ المقارنة الأدبية عند "طه حسين"، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ دراساته الأدبية، وقراءاته النقديّة، جاءت في فترة نهضوية تدعو إلى تنوير العقل العربي، وانفتاحه على الآخر فلمعت أسماء عديدة اهتمّت بآداب الأمم والشّعوب الأخرى، وسعت نحو ترجمتها من جهة، ومقارنتها بآداب اللّغة العربية من جهة أخرى، « وفي هذه الفترة انتشر ذكر طه حسين (1889م- 1973م)، في الأوساط الثقافية بما عالجه من قضايا الفكر والأدب، ومن ضمن ما تناوله مسألة التنوير بالأعمال الأدبية الأوروبية التي عرضها في مجموعة من المقالات الصحفية والحصص الإذاعية، ومؤلّفات أدبية مثل"حديث الأربعاء"و"حافظ وشوقي"، بحيث مارس ما سمّاه عبد العزيز شرف النقد التّقويمي المقارن»[2]، هذا النقد الذي يتجاوز الحدود الفاصلة، ولا تحدّه المسافات، بل قادر على أن «يخترق حواجز الزمان، والمكان والثقافات؛ بحثًا عن التّشابه في سبيل المقارنة التنويرية»[3]، وقد ساعده هذا النقد في عقد العديد من المقارنات الأدبية والبحث في جوهرها عن أوجه التّشابه والاختلاف، فنجده في ذلك يقارن بين شاعرين مختلفين من عصرين مختلفين، ولغة مختلفة، وذلك حين قارن« بين صفاء لغة الشاعر الفرنسي" بول فاليري Paul Valery" (1871م، 1945م)، وصفاء لغة الشاعر العربي القديم"أبو الطيّب المتنبّي"، كما قارن بين الشاعر الفرنسي" فيكتور هيغو victor hugo"(1802م، 1885م)، وشاعر النيل"حافظ إبراهيم"(1872م، 1932م)»[4]، كما يستعرض عزّ الدين المناصرة مجموعة من المقالات الأدبية المقارنة التي

[1] رشيد بلعيفة، المرجع السابق، ص93

[2] بومدين جلالي، النقد الأدبي المقارن في الوطن العربي(رؤية في ضوء المناهج الجديدة)، ص 50.

[3] المرجع نفسه، ص ن.

[4] المرجع نفسه، ص51.

كتبها "طه حسين"، وقارن فيها بين أدباء وشعراء من جغرافيّات مختلفة دون أن يراعي في ذلك حدود الزّمان والمكان، واللّغة، وأوّل تلك المقارنات كان ما عقده بين الشاعر"عمر بن أبي ربيعة" والشاعر" ألفريد دي موسيهAlfred de Musset"، حيث « انطلق من أطروحة زميله أحمد ضيف التي قدّمها لجامعة السوربون وقارن فيها بين عمر بن أبي ربيعة، والشاعر الفرنسي دي موسيه، واختلف مع زميله قائلاً:"الفرق عظيم جدا بين الشاعرين، عظيم إلى حدّ أنّ المقارنة بينهما مستحيلة. فهو يرى أنّ عمر بن أبي ربيعة شاعر مبتهج بينما دي موسيه كان شاعرًامحزونًا»[1]، وملاحظته بفرق النفسيّات واختلافها لم يجعله يقف عند هذا الحدّ من المقارنة، وإنّما سعى للبحث في مقارنته لأن يجد مثيلا لابن أبي ربيعة في نفسيّته المبتهجة، لهذا راح طه حسين«يفتّش عن شبيه لعمر بن أبي ربيعة ليس في الشعر الفرنسي، بل في النثر الفرنسي، فيجد أنّه أقرب إلى كتابات "بيير لوتي-Pierre Loti" في كتاب "اليائسات"، فيقرّ أن يضع ابن أبي ربيعة بإزّاء بيير لوتي، فهو يراه أنّه أخوه حقّا، لهما نفسية واحدة، ومذهبهما في الحب وإعلانه واحد، وميلهما إلى الحياة يوشك أن يكون واحدًا... فهو صورته الصّادقة لولا ما بينهما من فروق البيئة والجيل»[2]، وطه حسين في مقارنته للشّاعرين نجده يتجاوز الظاهر بحثا عن مواصفات أخرى يتشارك فيها كلاهما ، فقد ركّز على نفسية كلّ من عمر بن أبي ربيعة، وقارنها مع النفسية المبتهجة على كتاباتهما، وعلى أدبهما، وما الأدب إلاّ مرآة عاكسة لحياة صاحبه؛ وكذلك كان يرى طه حسين، فأمثال تلك « الموازنات لا تقتصر على شرح ظواهر الأدب العربي، بل تتجاوزها لتصبح أساسا لفهم الشعراء والأدباء أنفسهم، فعمر بن أبي ربيعة لا يقترب في هذا السّياق من "ألفريد دي موسيه" على مستوى الشّبه الظاهري فحسب، بل يتجاوزه ليتّحد مع "بيير لوتي" على مستوى الشّبه الحقيقي، فيتشابه الشاعر العربي القديم مع الناثر الفرنسي الحديث هذا الشّبه القوي الغريب،حتى يكاد يكون صورة تناسخت عنه»[3].

[1]عزّ الدين المناصرة، علم التناص والتلاص، ص 174.

[2]المرجع نفسه، ص174- 175.

[3]جابر عصفور، المرايا المتجاورة، دراسة في نقد طه حسين، ص256.

ويستمرّ المناصرة في عرضه لسلسلة المقالات الأدبية التي يرى فيها عمق الدّراسة المقارنة، فطه حسين يقف في مقارناته بين الشّعراء والأدباء على موضوعات مختلفةبين آداب مختلفة، فيعرض لنا مقالة أخرى من مقالاته؛ قارن فيها بين الحب عند "ابن حزم الأندلسي"، و"ستاندال الفرنسي" بحثا عن التّشابه بينهما مع تقديم تعريف لكلّ منهما، فجاءت المقالة «بعنوان "في الحب" يقارن فيها بين "ابن الحزم"(القرن الحادي عشر ميلادي)، و"ستاندال" الفرنسي(الفرن التّاسع عشر ميلادي)، في نظريّتهما لموضوع الحب... ثمّ يقدّم طه حسين تعريفًا بالكاتبين، ليصل إلى أنّ كلاهما أوروبي المولد والنّشأة، لكن أحدهما عربي الحياة والآخر فرنسي الحياة»[1]، وما نلاحظه أنّ مقارنته لا تقتصر على الموضوعات الأدبيّة فحسب، بل تتجاوزها لسيّر الأدباء كذلك، وللعصر والبيئة التي عاش فيها كلّ من الأدباء، وخلال ذلك يبحث عن المتشابهات في حياة كلّ منهما؛ فيقف على مجموع تلك المتشابهات ويحصيها، فيخلص في مقارنته إلى أنّ كلّ من ابن حزم الأندلسي وستندال الفرنسي(Stendhal) « قد عاشا في عشر فتنة واضطراب، فابن حزم شهد عصر ملوك الطّوائف و"ستندال- Stendhal " عاش الثورة وحروب نابليون، وكلاهما كان متمرّدا ساخطا على ما يرى، عاكفًا على نفسه يتسلّى بعلمه وأدبه... أمّا عن ماهية الحب؛ فيذهب ابن حزم إلى ما ذهب إليه بعض فلاسفة اليونان القدماء، أمّا ستندال فهو لايعرف الحب وإنّما يستقصي أنواعه عند أفراد الناس وأصنافهم»[2]، ويعرض طه حسين لمقارنة أدبية أخرى بين الأديب التشيكي ذو اللّغة الألمانية "فرانز كافكا" وبين "أبي العلاء المعرّي" فنجده يحاول التّقريب بين شخصيّة كافكا وشخصيّة سبق له وأن درسها، شخصيّة الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعرّي، سوداوية الحياة التي عاشها كلّ منهما. فطه حسين حين يقارن بين "أبي العلاء المعرّي" و"كافكا" يجد أنّ الاثنين كتبا مايسمّيه" الأدب القاتم"، ذلك لأنّهما عاشا محنا قاسية؛ فكافكا عاش مجموعة من المحن أوّلها المحنة الدينية التي دفعته إلى نكران دينه، ثمّ انقطاع صلته بأبيه، وفشله في الاندماج مع المجتمع، ثمّ مرضه الذي حال دون زواجه، جميع هذه المحن القاسية أُلِّفت بأدب كافكا، وأنت

[1] عزّ الدين المناصرة، علم التناص والتلاص، ص145.

[2] المرجع نفسه، ص175- 176.

تقرأ الفصول والغايات، واللزوميّات للمعرّي؛ تنتهي بك إلى نفس الموقف الذي تنتهي بك إليه قراءة (القضيّة) و(القصر)، و(أميركا) لفرانز كافكا، وفي ذلك يقرّ طه حسين أنّ كلّا من أبي العلاء وكافكا بينهما عامل مشترك، وهو كتابتهما لأدب محفوف بالألم والقسوة سمّاه"الأدب القاتم"[1].

وفي مقالة أخرى يذهب طه حسين في مقارنته إلى أبعد من ذلك، حيث يقف في حدود تلك المقارنة على مجال الفكر الإسلامي، وتاريخ الفلسفة الإسلامية، وهي «المقارنة التي عقدها طه حسين في ورقة بحثية، بين المعتزلة، وبين الفيلسوف الألماني "ليبنتز(1646م- 1716م)"، وقد كان ذلك في مؤتمر المستشرقين الذي انعقدت دورته في اكسفورد، سنة 1928م»[2]، ومعروف عن طه حسين اهتمامه بالشّعراء الذين يطبع شعرهم الحكمة والفلسفة كشخصيّة "أبي العلاء" الذي عاد لدراسته أكثر من مرّة، وتناوله في أكثر من جانب، ومقارنته بين المعتزلة وليبنتز« تمثّل عودة إلى اهتماماته الكلامية الفلسفية الدّائمة، وتمثّل حضورها المستمر في ذهنه... فيخلص في نهاية مقارنته إلى أوجه الشّبه بينهم، وبين "ليبنتز" ويحيلها في نقطتين أساسيّتين هما؛ دفاع الطّرفين كلاهما عن وحدانية اللّه (فصفاته هي عين ذاته)، وعن عدله الذي يستتبع بالضّرورة القول بحريّة الإنسان»[3]، وقد أشار محقّق هذه الأوراق إلى أنّ دراسة "طه حسين" جاءت مختصرة تحتاج إلى دراسة أخرى موسّعة وأكثر عمقا، إلاّ أنّه يمكن القول أنّ تلك الدّراسة المختصرة التي قدّمها "طه حسين" بيّنت أثر الفلسفة الإسلامية، ودورها في نشأة الفلسفة الأوروبيّة الحديثة من جهة، وفتحت بابا جديدا لموضوع جديد أمام الدّارسين، والباحثين من جهة أخرى.

وفيما يلي نستعرض آخر مقارنة لطه حسين في بحثنا هذا، وذلك حين قارن الادب القديم بالأدب اليوناني القديم، فيذهب في مقارنته إلى « أنّ الأمّة العربية، كالأمّة اليونانية، تحضّرت بعد بداوة، وأنّ كليهما

[1] ينظر: عزّ الدين المناصرة، علم التناص والتلاص، ص178.

[2] طه حسين، الأوراق المجهولة(محفوظات طه حسين الفرنسية)، تحقيق وترجمة:عبد الرشيد محمودي، الهيئة العامّة للشئون المطابع الأميرية، مصر، 2016م، ط1، ص 43.

[3] المصدر نفسه، ص46.

خضعت لنفس الظروف السّياسية، فدفعها ذلك إلى تجاوز موطنها الخاص والإغارة على البلاد المجاورة وسط سلطانها على الأرض، وكلتاهما لم تبسط سلطانها على الأرض عبثا، وإنّما نفعت وانتفعت ، وتركت للإنسانية إرثا لا يزال قائما إلى يومنا هذا»[1]، ويقف خلال مقارنته على تطوّر الشعر والنثر العربي، فيرى الشّبه بينه وبين الشعر والنثر اليوناني، خلال رحلة التطوّر تلك؛ كذلك ما تركته الحروب من آثار في حياة كلّ من الأمتين العربية واليونانية «فتطوّر الشعر اليوناني من السّذاجة إلى التعقّد يشبه تطوّر الشعر العربي، وكما كان العرب يبدؤون قصائدهم مهما يختلف موضوعها بوصف الطلول والنساء، كان اليونان كذلك يستهلّون قصائدهم بمناجاة آلهة الشعر، وكذلك الانتقال من الشعر إلى النثر، ومن الخيال إلى العقل واحد بين الأدب العربي واليوناني... وكذلك الحروب أحدثت آثارا مماثلة بين الأدبين»[2].

ومن خلال ما عرفناه من المقالات الأدبية، يتجلّى واضحا اهتمام طه حسين بالمقارنة في كلّ العصور الأدبية، وخاصّة مقارنة الآداب العربية القديمة بالآداب اليونانية، ثمّ الفارسية، ثمّ تأثير الأدب العربي القديم في الأدب الفرنسي، لا سيّما عند الكلاسيكيّين، الرومانسيّين، لأنّ هذه الثّقافات هي المؤثّرة في فكر "طه حسين"، وبالإضافة إلى مقارنته بين الموضوعات الأدبية، يقارن كذلك بين سِيَّر الأدباء.

[1] جابر عصفور، المرايا المتجاورة، دراسة في نقد طه حسين، ص 249- 250.

[2] المرجع نفسه، ص 250.

ثالثا- أوليّات المقارنة في ميدان الدّراسات التراثية عند عبّاس محمود العقاد:

اقترنت دراسات عباس محمود العقاد بمرحلة الأوليّات في الدّراسات العربية المقارنة، إذ يعدّ من بين الأعلام الذين كان لهم قصب السّبق في وضع اللّبنات الأولى؛ تمهيدا لظهور هذا الحقل المعرفي في الوطن العربي، ففي الفترة التي بدأت تتشكّل فيها بوادر الاهتمام بالأدب المقارن العربي« ظهرت مقالات قليلة أهمّها مقالة كتبها عباس محمود العقاد في عام 1948»[1]، وقد ارتبطت مقارناته بنقده اللّاذع للشّعراء سواء من بني عصره، أو من الذين سبقوه« فجاءت هزّاته عنيفة لأولئك الشعراء تصدّيا لمناهجهم في التّفكير، إذ كانت تلك الهزّات قائمة على المقارنات التي يعقدها بينهم، وبين الشعراء الغربيّين»[2].

والعقاد لم ينطلق في مقارنته من شعراء عصره أوّلا، وذلك حين ينقد الشاعر المتكلّف البعيد عن صدق العاطفة في نظره، ففكرة المقارنة تلك «اتّخذها كرأس حربة في هجومه الشّهير على شوقي ونصوصه الأساسية التي وردت في الدّيوان" اعلم أيّها الشّاعر العظيم أنّ الشاعر هو يشعر بجوهر الأشياء، فنصوصه قائمة على فكرة ماهية الشاعر كما يراه في الآداب الأوروبيّة، أو كما يراه في الآداب العربية»[3].

وفي نقده لمن عاصروه من الشعراء كشوقي مثلا، نجد نقده عنيفا، وتأتي مقارنته لتبيّن قصورهم وفتورهم في ذلك، عكس دراسته للشّعراء القدماء، إذ كانت المقارنة في صالحهم، وذلك «عندما يقف أمام بعض الشعراء المتميّزين في العربية، كالمتنبّي وأبي العلاء ، ويبحث عن أصدائهم في الآداب الأخرى، وعن نظرائهم في الشّعر الأوروبي»[4]، ويذهب في كتابه"شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي" إلى مقارنة كلّ من عمر بن أبي ربيعة، وجميل بثينة، فيدرس الأوّل من خلال عصره وبيئته، ويكشف عن حسّه الفنّي الصّادق ثمّ يدرس جميل بثينة وشعره الغزلي، وعصره ويتتبّع أخبار عشقه لبثينة، فينتهي في مقارنته إلى انّ الشاعر

[1] مناف منصور، مدخل إلى الأدب المقارن(سعيد عقل وبول فاليري)، ص57.
[2] أحمد درويش، نظرية الأدب المقارن(وتجلّياتها في الأدب العربي)، ص57.
[3] المرجع نفسه، ص58.
[4] المرجع نفسه، ص ن.

"عمر بن أبي ربيعة"« ظاهرة أدبية، ونفسية قليلة النظير في الآداب العربية، وذلك لهبة فنّه وصدق تعبيره...أمّا جميل بثينة، فيشهد له بصدق عشقه، ويشير إلى مكانته في الصّناعة الشّعرية، ويعترف له بالإجادة والأستاذية إلى ما بعد زمانه، ويقول إنّ شعره أفحل من شعر ابن أبي ربيعة، وأجزل وأبلغ، وأجمل وأنّه يرتقي في الصناعة الشعرية مرتقى لا يعلو عليه شاعر من ابناء عصره»[1]، وتجدر بنا الإشارة هنا، إلى جنوح العقاد في دراسته إلى عدم الوقوف عند الحدود الإقليمية للإنتاج الأدبي، فنجده يقارن بين عمر بن أبي ربيعة، وجميل بثينة على الرّغم من كونهما شاعرين من نفس الإقليم الجغرافي ويكتبان باللّغة نفسها وبذلك يكون قد تبنّى منهجا جديدا في دراساته المقارنة، منهج لا يعترف بالحدود الإقليمية الفاصلة بين الآداب، كما لا يجد أنّ اختلاف اللّغة مطلب ضروري في العمليّة الأدبية المقارنة، وبذلك يختلف عن المنهج التاريخي للمدرسة الفرنسية، وهو منهج « ظهر في خمسينيات القرن الماضي، يسمّى بالمدرسة النقدية، أو الاتّجاه الأمريكي على وجه خاص حمل لواءه مجموعة من العلماء الأمريكان، وهو اتّجاه يتجاوز تتبّع المجرى التاريخي للآداب، ويعنى بمقابلة التّقنيّات الفنيّة في الأعمال الأدبية حتى لو لم يكن بينها رابط تاريخي... هذا المنهج نجد العقاد يتّبعه منذ سنة 1916م، دون أن يعلم عنه أنّه منهج أو يسمّيه تسمية معيّنة»[2].

إذن فمنهج العقاد في الدّراسة الادبية المقارنة يختلف عن منهج "طه حسين" التاريخي الذي مارسه عن دراية وفهم، وصرّح به قبل أن يشرع في دراسته في مقدّمة كتابه" الشعر الجاهلي"، أمّا العقاد في تبنّيه للمنهج النقدي الأمريكي، فكان دون علم ودراية منه بوجود ذلك المنهج أصلا، إنّما مارسه ممارسة تطبيق سبقت وجوده الفعلي في الفكر العربي، ويتجلّى تطبيقه للمنهج في دراسته التي « يقف فيها أمام نظرات فلسفة أبي العلاء المعرّي في الكون، ويقارنها بفكرة داروين في النشوء والارتقاء... ويخلص إلى انّ فكرة تنازع البقاء بين الكائنات هي موجودة قبل داروين بقرون عند أبي العلاء... ويقارن مرّة أخرى بين فكرة التشاؤم

[1] شوقي ضيف، مع العقاد، دار المعارف، مصر، 1964م، ط1، ص127.

[2] أحمد درويش، نظرية الأدب المقارن، ص59.

التي نبتت عند شوبنهاور، والتشاؤم الموجود عن أبي العلاء»[1]، كما يقف العقاد في مقارنته على حكايات ألف ليلة وليلة كأدب شعبي، وانتقالها إلى الآداب الأوروبية، وصعوبة تتبّع مجراها التاريخي، وذلك لحركة وسرعة انتشار هذا النوع من الأدب «فيتنبّه في دراسته إلى أنّه عندما نقارن ألف ليلة وليلة كعمل شعبي عظيم ونجد له نظائر في الآداب الإيطالية والتّترية والعبرية، لا نستطيع أن نُعنّي أنفسنا بتتبّع المسار، فهذه حكايات تسير مع الركبان ويتناولها الناس»[2]، وتنبّه العقاد لتلك الصعوبة التي تلازم تتبّع المسار التاريخي للآداب الشعبية ومقارنتها بآداب شعبية لأمم أخرى، وإنّما ينمّ عن دقّة ملاحظته وانتباهه الشّديد، فالأدب الشعبي ليس كالأدب الرّسمي، إذ تسهم في تأليفه وانتشاره جماعات من الناس، وذلك ما يجعل من عمل المقارنة مستحيلا أو شبه مستحيل، والمعروف أنّ العقاد كان متقنا مجيدا للّغة الإنجليزية، متشبّعا بآدابها وثقافتها، ولعلّ تكوينه ذلك هو ما جعله ينتصر لفكرة قوّة تأثير الأدب السكسوني مقارنة بالأدب الفرنسي وذلك عند مراجعته لترجمة" البؤساء" لحافظ إبراهيم، وذلك حين« ترجم حافظ إبراهيم "البؤساء" لهيغو وأراد من العقاد ان يراجع الكتاب، والعقاد كان لا يحسن الفرنسية، وكان ينادي بفكرة أنّ الأدب العربي الحديث أكثر قابلية لبلاغة التأثير الإنجليزي، على عكس ما يقوله كلّ الناس من التأثير الفرنسي ومزاج البحر المتوسط، ولأنّ "طه حسين" ينتمي إلى ذلك المزاج، وشوقي كذلك فكان على العقاد أن ينزع نحو ثقافته الثانية وينتصر لها»[3]، وعليه فحكم العقاد في ذلك، هو حكم متحيّز ينزع للذّاتية أكثر منه للموضوعية.

وفيما يلي ندرج أهمّ النتائج التي توصّلنا إليها من خلال مقارنتنا بين جهود طه حسين وعباس محمود العقاد في ميدن الدّراسات العربية المقارنة:

[1]، أحمد درويش، المرجع السّابق، ص 59- 60.

[2] المرجع نفسه، ص 61.

[3]المرجع نفسه، ص63.

- يكاد كلّ منهما يتساوى مع الآخر في وجود نزعة المقارنة لديهما، لقوّة اتّصالهما بالأدب الفرنسي والإنجليزي، مع انفراد "طه حسين" بصِلة مع الأدب اليوناني القديم.
- تراوح مقارنتهما بين السذاجة والعلمية، ومع صدور "طه حسين" عن مبادئ مقرّرة في المدرسة الفرنسية التي تعنى بالمجرى التاريخي للآداب، وعدم التفات العقاد لذلك، واهتمامه فقط بالتّشابهات.
- تطبيقاتهما شملت عددا كبيرا من الأدباء العرب القدماء والمحدثين.
- لا يقلّ جهدهما قيمة عن غيرهما ممّن جايلوهما، حتى أولئك الذين ألّفوا في الادب المقارن خاصّة في الثلاثينيّات والأربعينيّات، وبالتحديد في الجانب التطبيقي.
- حاجة أعمالهما الإبداعية، والنقديّة للدّراسات المقارنة المعمّقة.

وختاما لما أسلفنا فيه الذّكر في المباحث السّابقة، فقد استنتجنا أنّ دراسات "طه حسين" الأدبية تقوم على فعل المقارنة، وأنّ فكره النقدي مبني على المماثلة، والمقايسة بين الآداب، فممارسته النقدية تشكّل وحدة متكاملة لا تنفصل فيها النظرية عن التّطبيق، وإن كنّا لا نجد حضورًا واحتفاءً كبيرين بمقارناته الأدبية وإسهاماته في الدّرس المقارن العربي في مراحله الأولى، فذلك يعود لقصور دراسات مؤرّخي الأدب المقارن في البيئة العربية؛ خصوصًا دراسات المؤسّسين التي أغفلت جهد العديد من الأعلام بما فيهم "طه حسين" وذلك بسبب تركيزهم على طروحات المدرسة التاريخية الفرنسية، وتسابقهم نحو الترجمة لها، ونقل مبادئها وذلك ما جعل تأريخهم للدّرس المقارن العربي، تأريخًا يشوبه النّقص والدّقة، وخلال مقاربتنا لجهدي طه حسين وعباس محمود العقاد في الدّراسات المقارنة، خلصنا إلى أنّ "طه حسين" انطلق في دراساته للتراث مركّزًا على نظرية الصّراع بين القديم والجديد، فأجرى مقارنات أدبية بين أعمال أدبية عربية، وأدباء عرب وبين بعض الأدباء الأوروبيّين والكتابات الأوروبية، بحيث ارتكزت عملية المقارنة عنده على المفهوم التّقليدي الفرنسي في مقارنة الموضوعات وسِيَر الأدباء.

الخـاتمة

بحمد الله الباري، وبنعمةٍ منه وَرَحمَة، وَبعد رِحلَة مِنَ البَحث في مَوضُوع « **نَزعةُ المقَارنَة في دِراسَات "طه حسين" للتُراث الأدَبي العَربي- المُنجَزوتَقيِيمه عِند المقَارنين العَرب-**»، والّتي حَاولنا من خِلالها تتبُّع المُنجز النّقدي عند**"طه حسين"**، خَاصّة مَا تَعلَّق بالنَقد التَقويمي المقارَن، الّذي قَامت عليه جلُّ دِراسَاته الأدَبية والنَقدية، وبعد سَبرنَا أغوارَ بعضِ تلك الدِّراسات، وقيَامنا بعملية مَسح لبعضِ كُتب المقَارنين العَرب المتقدِّمين منهُم وكذَا المتأخِّرين؛ بحثًا عمّا قدَّمه **"طه حسين"** من جُهود ودِراسَات نَقدية مُقارِنة تدخُل في إطار وحيِّز الأدَب المقارَن، فَقد توصّلنا إلى مجموعَة من النَتائِج:

- وأوّلها أنَّ "طه حسين" قد انطلق من التراث، وأثار بدراسته له ثورة دارت رحَاها بين القديم والجديد.
- هضمه للثّقافة الأوربية، وإلمامه بالتاريخين اليوناني والروماني، واعتكافه على دراسة اللغات، ما مكّنه من نقل العديد من روائع الأدب الغربي إلى القارئ والفكر العربي؛ وتلك أحد الشروط الّتي لابدّ أن تتوفَّر في الباحث المقارِن، إتقانه اللغات، وسعة اطّلاعه على آداب وثقافات الأمم الأخرى وجميعها توفّرت في "طه حسين".
- نجد أنّ دراسته النقدية تقوم في أساسها على فعل الموازنة، والمماثلة، والمقايسة بين الآداب ويعدّ ذلك أحد أهمّ الأسس التي يقوم عليها المنهج النقدي التاريخي الّذي تبنَّاه "طه حسين"عن أساتذته الغربيِين ونادى به في الفكر العربي.
- عقده العديد من المقارنات الأدبية في دراسات استطاعت أن تتجاوز حدود الزّمان والمكان واللغات وتتبّع المسار والصلات التاريخية لتلك الآداب، مبرزًا ما حدث بينها من تبادل، مثبتًا وجود عامل التأثير والتأثّر.

- اهتمامه بمقارنة الموضوعات وسِيَّر الأدَباء؛ معتمدًا على المفهوم التقليدي الفرنسي، مركّزًا على الثقافات الثلاث(العربية، الفرنسية، واليونانية) باعتبارها الرّوافد الأساسية المؤثّرة في فكر "طه حسين".
- عنايته الخاصّة بالمدوّنة الشعرية العربية القديمة، بِعَدِّها النموذج المثالي والإرث الأدبي المقدّس عند العرب، وتناوُلِها بِمِعْوَل النقد الحديث، الذي يقوم على الهدم والبناء، والجرح والتعديل وذلك من خلال إخضاعها لمنهج يستدعي ويستلزم البحث والمقارنة والاستنباط.
- خلعه ثوب القداسة عن التاريخ الأدبي الإسلامي، ودعوته إلى التعامل معه بمنهج التاريخ المقارن الّذي يبحث في المتباينات والمتشابهات بين الأمم والحضارات، إيمانًا منه بوحدة التاريخ والتجارب الإنسانية التي تخلق نوعًا من التفاعل والتبادل بينها.
- سعيه من خلال مقارناته الأدبية التي أجراها بين الأدب العربي القديم والآداب العالمية القديمة الكبرى، إلى دراسة الأدب العربي دراسة جديدة تمكّن القارئ العربي من فهم أدبه، إذ لا سبيل في منهج "طه حسين" لفهم الأدب إلّا من خلال الموازنات والمقارنات التي تُجرى بينه وبين الآداب الأخرى المختلفةعنه.
- معالجته العديد من قضايا الفكر والأدب التي اهتمّت بالجانب التنويري النهضوي والتعريف بحضارة الآخر وثقافته، وقد جاء ذلك في مجموعة من مقالاته ومؤلّفاته التي نحت منحى النقد التقويمي المقارن الذي يبحث في المتشابهات بهدف المقارنة التنويرية.
- تراوحت مقارناته الأدبية والنقدية بين الحضور والغياب في كتب المقارنين العرب، حيث أغفلت جهوده، وما أسهم به في حقل الدّراسات المقارنة العربية في مرحلة الأوليّات، ولم تجد احتفاءً من قِبل مؤسّسي الأدب المقارن العربي، فلم نجد لها ذكرًا باستثناء بعض الإشارات البسيطة، وقد أرجعنا ذلك الإهمال إلى ثلاثة أسباب:

- أوّلها اهتمام المقارنين العرب بالطرح الفرنسي، والتّركيز على ما جاءت به المدرسة الفرنسية التاريخية من أفكار ورؤى، وتسابقهم نحو نقل تلك الطروحات إلى الفكر العربي.
- أمّا السبب الثاني فقد أرجعناه إلى قصور البدايات، وتلك هي طبيعة الدّراسات التي تبحث في أيّ علم من العلوم لأوّل مرّة، إذ من الطبيعي أن يشوبها القصور والاضطراب في الإلمام بجوانب ذلك العلم؛ خصوصًا تتبّع مجراها التاريخي والمراحل التي مرّ بها والتي مهّدت لظهوره.
- أمّا السبب الثالث؛ فيعود إلى اختلاف التيارات الفكرية لأولئك الباحثين وتعارض توجّهاتهم، وقد لاحظنا ذلك عند "الطاهر أحمد مكي" الذي جاءت دراسته بعيدة عن الطرح العلمي الأكاديمي في شقّها المتعلّق بطه حسين، حيث لم نجد ما قدّمه الرجل من إسهامات كبيرة في حقل الأدب المقارن العربي، بل صدمنا برواية حملت الكثير من الإساءة لشخص" طه حسين، ولم تُفدنا بشيء من دراستنا هذه، أمّا في كتب المقارنين العرب المتأخّرين؛ فقد لاحظنا انتباهًا وحضورًا لدراسات "طه حسين" المقارنة، مُقارنةً بكتب المتقدّمين خاصّة الدّراسة التي قدّمها "عز الدين المناصرة" في كتابه «علم التناص والتلاص».

- حاجة أعماله الأدبية والنقدية لدراسة حديثة معمّقة.

وهكذا، يتبين من خلال هذه الدراسة أنّ نزعة المقارنة في دراسات "طه حسين" للتراث الأدبي العربي لم تكن مجرّد أداة نقدية عابرة، بل كانت رؤية منهجية واعية، سعت إلى إعادة بناء العلاقة بين الذات والآخر، وبين الماضي والحاضر، في ضوء مفاهيم عقلانية وحداثية، وبالتّالي فإنّ ما خلصنا إليه في هذه المذكرة، يفتح المجال أمام دراسات لاحقة لتوسيع النظر في أثر هذه النزعة على تكوين المفاهيم النقدية الحديثة في الوطن العربي، واستكشاف امتداداتها في الخطابات الأدبية الراهنة.

قـائمة المصادر والمراجع

قـــــائـــــمة المصادروالمراجع

- **الكتب:**

1. إبراهيم الأبياري وآخرون، طه حسين (كما يعرفه كتّاب عصره)، دار الهلال، الإسكندرية، مصر 2006م، دط.
2. إبراهيم سلامة، تيارات أدبية بين الشرق والغرب (خطة ودراسة في الأدب المقارن)، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، 1951م- 1952م، ط1.
3. إبراهيم عوض، في الأدب المقارن(مباحث واجتهادات)، المنار للطّباعة والنّشر، مصر، 2006م، دط.
4. أحمد أمين، فجر الإسلام، مطبعة الاعتماد، مصر، دت، ط2.
5. أحمد أمين، فيض الخاطر(الجزء العشر)، مؤسّسة الهنداوي، المملكة المتّحدة، 2011م، دط.
6. أحمد درويش، نظرية الأدب المقارن(وتجلّياتها في الأدب العربي)، دار غريب للطباعة والنشر والتّوزيع، القاهرة، مصر 2002م، دط.
7. أحمد شوقي عبد الجواد رضوان، مدخل إلى الدّرس الأدبي المقارن، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان 1990م، ط1.
8. أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث(أصوله واتّجاهاته)، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر 1972م، دط.
9. إسماعيل سراج الدّين، لطفي عبد الوهاب، طه حسين معلّم الأجيال، مكتبة الإسكندرية، مصر 2006م، دط.
10. ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النّهضة (1798-1939)، دار النهار للنّشر، بيروت، لبنان، دت دط.
11. أنور الجندي، معالم الفكر العربي المعاصر، مطبعة الرسالة، مصر، دت، دط.

12. بديع جمعة، دراسات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1980م ط2.

13. جابر عصفور، المرايا المتجاورة(دراسة في نقد طه حسين)، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة مصر، 2014م، ط4.

14. خليل هنداوي، اشتغال العرب بالأدب المقارن(أو ما يدعوه الفرنجة Littérature Comparée)، في كتاب تلخيص كتاب آرسطو في الشّعر لفيلسوف العرب أبي الوليد بن رشد، الرّسالة.

15. حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن(عربيا وعالميا)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1999م ط2.

16. ريمون طحان، الأدب المقارن والأدب العام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1972م، ط1.

17. زكي مبارك، الموازنة بين الشعراء(أبحاث في أصول النقد وأسرار البيان)، مطبعة المقتطف والمقطم مصر، 1926م، ط1.

18. سامي الكيالي، مع طه حسين، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1952م، دط.

19. سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن(دراسة منهجية)، المركز الثّقافي العربي، مصر،1987م، ط1.

20. سعيد علوش، مكوّنات الأدب المقارن (في العالم العربي)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان 1987م، ط1.

21. شكري فيصل، مناهج الدّراسة الأدبية(في الأدب العربي، عرض، نقد، واقتراح)، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، 1978م، ط4.

22. شكري محمد عيادة، تجارب في الأدب والنّقد، أصدقاء الكتاب للنّشر والتّوزيع، مصر، 1994م ط2.

23. شوقي ضيف، مع العقاد، دار المعارف، مصر، 1964م، ط1.

24. الطاهر أحمد مكّي، الأدب المقارن(أصوله وتطوّره ومناهجه)، دار المعارف، القاهرة، مصر،1987م ط1.

25. طه حسين وآخرون، التّوجيه الأدبي، دار الأميرية، القاهرة، مصر، 1952م، دط.

26. طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثقافة، مصر، 2012م، دط.

27. طه حسين، خصام ونقد، مؤسسة هنداوي، المملكة المتّحدة، 2014م، دط.

28. طه حسين، صوت أبي العلاء، مطبعة المعارف، مصر، دت، دط.

29. طه حسين، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق محمد بن عبد الرحمن محمد، القاهرة، مصر 1933م، ط3.

30. طه حسين، لحظات، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، القاهرة، مصر،2012م، دط.

31. طه حسين، مستقبل الثّقافة في مصر، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، ط2.

32. طه حسين، من بعيد، مؤسّسة الهنداوي للتّعليم والثّقافة، القاهرة، مصر، 2012م، دط

33. طه حسين، من حديث الشّعر والنثر، مؤسّسة الهنداوي للتّعليم والثّقافة، القاهرة، مصر 2012م دط.

34. طه حسين، نفوس للبيع، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، دط.

35. طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1991م، دط.

36. عادل غضبان، نوابغ الفكر العربي(الشيخ بخيت الحداد)، دار المعارف، مصر، 1899م، دط.

37. عبد الحليم محمد حسين، الجاحظ (الأديب الساخر)، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، ليبيا، 1981م، ط1.

38. عبد السّلام الشاذلي، الأسس النّظرية في (مناهج البحث الأدبي الحديث)، دار الحداثة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1989م، ط1.

39. عبد العزيز شرف، طه حسين(وزوال المجتمع التقليدي)، مؤسّسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتّوزيع، تونس، 1988م، ط2.

40. عبده الراجحي، محاضرات في الأدب المقارن، دار النّهضة العربية، بيروت، لبنان، دت، ط2.

41. عزّ الدين المناصرة، النقد الثقافي المقارن (منظور جدلي تفكيكي)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع عمان، الأردن، 2005م ط1.

42. عزّ الدّين المناصرة، علم التناص والتّلاص(نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)، الهيئة العامّة لقصور الثّقافة، القاهرة، مصر، 2010م، ط1.

43. علي أسعد وطفة، الجمود والتّجديد في العقلية العربية (مكاشفات نقديّة)، منشورات الهيئة العامّة السوريّة للكتاب، دمشق، سوريا، 2007م، ط1.

44. الغالي غريب، دراسات في تاريخ الدّولة العثمانية والمشرق العربي (1212- 1916)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011م، ط2.

45. فؤاد دوارة، عشرة أدباء يتحدّثون، تر: شفيق مقار، الهيئة المصرية العامّة للكتّاب، القاهرة، مصر 2012م، دط.

46. فيصل دراج، طه حسين(وتحديث الفكر العربي)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان 2011م، ط1.

47. قسم البلاغة والنّقد الأدبي والأدب المقارن، كليّة دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، محمد غنيمي هلال(ناقدا ورائدا في دراسة الأدب المقارن)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1996م، دط.

48. كارلو نلينو، تاريخ الآداب العربية(من الجاهلية حتى عصر بني أميّة)، دار المعارف، مصر، 1954م دط.

49. محمد زكي العشماوي، أعلام الأدب العربي الحديث(اتّجاهاتهم الفنية)، دار المعرفة الجامعية للنشر والتّوزيع، الإسكندرية، مصر، 2000م، دط.

50. محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، دار الشروق، القاهرة، مصر 1994م، ط1.

51. محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجيل، بيروت،لبنان 1992م، ط1.

52. محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب المقارن، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة مصر ج1، دت، ط1.

53. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطّباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،2008م ط9.

54. مصطفى فاروق عبد العليم، محاضرات في الأدب المقارن، كليّة الدّراسات الإسلامية والعربية، بنات بني سويف، مصر، 2009م، ط1.

55. مناف منصور، مدخل إلى الأدب المقارن(سعيد عقل، وبول فاليري)، منشورات مركز التوفيق والبحوث، بيروت، لبنان، 1980م، دط.

56. نجيب العقيقي، من الأدب المقارن، دار المعارف، مصر، 1948م، ط1.

57. يوسف بكار، خليل الشيخ، الأدب المقارن، منشورات جامعة القدس، المفتوحة، عمان، الأردن 1996م، ط1.

- **الكتب الأجنبية (المترجمة):**

1. أمبارو أورتادو ألبير، التّرجمة ونظريّاتها(مدخل إلى علم التّرجمة)، تر: علي إبراهيم المنوفي، المركز القومي للتّرجمة، القاهرة، مصر، 2007م،ط1.

2. رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، تر: محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، 1987م، دط.

3. سوزان باسنيت، الأدب المقارن(مقدّمة نقدية)، تر: أميرة حسن نويرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1999م دط.

4. طه حسين، الأوراق المجهولة(محفوظات طه حسين الفرنسية)، تحقيق وترجمة:عبد الرشيد محمودي، الهيئة العامّة للشئون المطابع الأميرية، مصر، 2016م، ط1.

5. فان تيغم، الأدب المقارن، دائرة المعارف الأدبية العالمية، مصر، دت، دط.

6. كلود بيشوا، أندريه م،روسو، الأدب المقارن، تر: أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة مصر، 2001م، ط3.

7. ماريوس فرانسوا غويار، الأدب المقارن، تر: هنري زغيب، منشورات عويدات ، بيروت، لبنان، 1988م ط2.

- **المجلّات والمنشورات:**

1. أحمد حسن الزيّات، مجلّة الرسالة، ع756، ج765 .

2. بوعلام إقلولي، المثاقفة، والمنهج في النقد العربي الحديث، مجلّة الممارسات اللّغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ع32، 2015م.

3. دواس حسن، عوامل هجرة المدارس النقدية الغربية إلى السّاحة النقدية العربية، مجلّة البحوث والدّراسات الإنسانية، جامعة 20 أوت 1955م، سكيكدة، ع14، 2017م.

4. رشيد بلعيفة، أصول المنهج النّقدي عند طه حسين(نقد التراث الشعري أنموذجا)، حوليات الآداب واللّغات، كليّة الآداب واللّغات، جامعة المسيلة، الجزائر، ع5، 2015م.

5. طارق زيناي، قضية الموازنة بين الشعراء وتجلياتها في النقد العربي القديم، مجلّة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة، الشيخ مبارك الميلي، بوزريعة، الجزائر، ع3، 2020م

6. عبد القادر بوزيدة، طه حسين ومنهج الشّك الديكارتي والمسألة الهوميرية(دراسة مقارنة)، مجلّة اللّغة و الأدب بجامعة الجزائر، ع05، 1994م.

7. عبد النبي اصطيف، المدرسة الترجمية في الدّرس المقارن للأدب، مجلّة المترجم، جامعة دمشق، سوريا ع25، مارس 2012م.

8. عماد شارف، المنهج التاريخي عند طه حسين(بين التّأسيس النظري والممارسة التطبيقية)، مجلّة آفاق علمية، المركز الجامعي محمد الشريف مساعدية، سوق أهراس، الجزائر، العدد 10، 2015م.

9. محمد عباسة، المدرسة العربية في الأدب المقارن، مجلّة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر ع17، 2017م.

- **الرسائل الجامعية:**

1. بومدين جيلالي، النقد الأدبي المقارن في الوطن العربي(رؤية في ضوء المناهج الجديدة)، رسالة دكتوراه كلية الآداب واللّغات، جامعة الجزائر، 2008م- 2009م.

2. عبد المجيد حنون، اللانسونية(وأبرز أعلامها في النقد العربي الحديث)، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في الأدب العربي، جامعة الجزائر، معهد اللّغة والأدب العربي، 1991م.

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحات
الإهداء.	
شكروعرفان.	
مقدّمة.....	أ- و
المدخل: مقدّمات نظرية.....	**09- 21**
أوّلا- مفهوم الأدب المقارن عند الغرب والعرب.....	08- 16
ثانيا- علاقة الأدب المقارن بتاريخ الأدب.....	16- 18
ثالثا- نزعة المقارنة في الدّراسات التاريخية.....	18-19
رابعا- أدوات المقارنة وعدّة الباحث في الدّراسات المقارنة.....	20- 21
الفصل الأوّل: الأدب المقارن وتجلّياته في الدّراسات الأدبية عند العرب.....	**22- 58**
المبحث الأوّل: أوّليّات الدّراسات المقارنة عند الغرب، وعند العرب.....	24- 32
المبحث الثاني: فكرة المقارنة في الدّراسات العربية الحديثة.....	33- 44
المبحث الثالث: منهج طه حسين في دراسة التراث الأدبي العربي.....	45- 58
الفصل الثاني: الدّراسة الأدبية المقارنة عند طه حسين وتقييمها في كتب مؤرّخي الأدب المقارن العربي.....	**59- 107**
المبحث الأوّل: نزعة المقارنة وتجلّياتها عند طه حسين.....	61- 79
المبحث الثاني: مقارنات طه حسين الأدبية في كتب مؤرّخي الأدب المقارن العربي.....	80- 93
المبحث الثالث: مقاربة بين جهدي طه حسين وعباس محمود العقاد(دراسة تحليليّة).	94- 107
الخاتمة.....	**108- 111**

قائمة المصادروالمراجع..... 112- 119

فهرس الموضوعات..... 120- 122